رِحْلَـة

للكاتب : حُسام الحاتم

عدد الصفحات : ١٢٧ .

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى . سورة النازعات .

مُقدّمة .

حلاوة الكتاب كلّه ، بعد الصفحة ٤٠ ..

و لكن هذا ليس مهم ، المهم هو أنّ الكتاب يتحدّث عن قصص و مواقف حدثت مع أُناس ، منهم من بدأت رحلته الخاطئة و ظلَّ على الخطأ ، و منهم من راجع نفسه و تاب .

قد تكون بعض القصص حقيقيّة ، و لكن مع اختلاف الشخصيّات .

قراءة مُمتعة .

إهداء .

إلى هؤلاءِ الذين جار عليهم الوقت هذا ، و استحوذ عليهمُ الأخطاء ، و كُلَّما حاولوا أن يعودوا ممّا هم عليه و تابوا . .

عادوا إلى نفس الأخطاء ..

أيكفيهم شرفُ المُحاولة !؟

بالطّبع لا ، و لكنّهم أفضل من هؤلاء الذين يُصرّون على أخطائهم .

تعجبني ثقة الشّاب في الله جلَّ عُلاه ، و تزعجني الإصرار على الخطأ ، فقط لأن الخطأ يُراعي ما تشتهِ نفسُه .

كُل ما في الأمر ، أنَّ هي الّتي جعلتني موسوسٌ بالتفكير فيها.

_ ما الأمر ؟

القصة تبدأ عندما بلغ حُسام الخامسة عشرة من عُمره ، عندما تعلّم تعاطي الشيشة مع صاحبه عامر ، و كان هذا في شهر رمضان.

كان الواعي وقتذاك ، يُفكّر كيف أن يترك الأفعال السلبية التي كان يفعلها قبل رمضان ، و يتخلّص منها خلال هذا الشهر الفضيل ، بينما كان الأستاذ حُسام و صاحبه عامر يُريدان أن يتعلما حاجات جديدة ، بل و يتفاخرا أيضاً !

في أيام رمضان و أول يوم بالضبط ، و بعد الانتهاء من الفطور .

اتّصل عامر بحُسام .

_ ألو

_ أهلاً يا عامر

_ أين أنت ، لقد اتفقنا على أن نذهب إلى المقهى !؟

_ أعلم ، و لكن أمهلني دقائق لكي أشحذ من أبي بعض من الفلوس و سأُكلّمك ..

_ حسناً ، أنا في الانتظار ..

و لقد ذهب و أخذ بعض المال من أبيه ، و اتّصل به ، و عندما وصلا جرى حديث شيّق لا يحدث إلّا في هذه المناطق ..

_ عامر ، لا أدري ولكن أشعر و كأنَّ دماغي سينفجر !

_ ههه ستظلُّ ذلك الطفل الّذي لا يكبر .

_ ههه ، أنا فقط تذكّرت الفتاة الّتي أُحبّها ، لذلك شعرتُ بهذا الشّعور

_ و من هي ، و ماذا عنها ، لم تكلمني عن أي فتاة يا رجل !؟

_ هه قصّة طويلة ، لقد كان سرّاً يا صاحبي ، و لم أقل لأحد !

_ إنّه الوقت المناسب لكي تُفضفض لي عمّا في داخلك على فكرة !

و أيضاً أرى أنّه موضوع مناسب للنقاش في هذا المكان ..

_ حسناً ، سأُخبرك ، ولكن آمل أن يظلَّ سرّاً .

فضرب على صدره و قال : ولا يهمك ، سرّك ببير .

_ يا صاحبي لقد كانت فتاة جميلة في حيّينا ، كنت صغيراً و كنّا نلعب سويّاً في الحارة ، و عندما وعيت و كبرت لقد شعرت بحبها داخل قلبي ..

_ بلا مقطوع عن حديثك ، ولكن متى كبرت ؟

_ أقصد عندما بلغ عمري ١٠ سنوات ، أي قبل خمس سنوات..

_ أها ، حسناً ، أكمل .

_ المهم ، كتبت لها رسالة ورقية ، أُعبّر ما بداخلي من مشاعر جيّاشة ، و كانت لا تقبل هذه الرسائل ، لا أدري لماذا ، احتمال كبير يكون بسبب خطّي الجميل الذي كاد أن يكون كخطِّ الدكاترة ، و لكن لهذه اللحظة أُحبّها ، بل أعشقها أيضاً و إن كان حبها لي بحرٌ فعشقي لها محيط و أنا تائه في هذا المحيط ..

_ الله الله ما هذا الكلام الذي يُسرُّ الخاطر ، و لكن لما لا تكلمها بعد هذا الوقت ، قد تكون غيّرت رأيها .

_ لا أعتقد يا صاحبي ، لأن بصراحة (و بعد شفط سحبة من الشيشة) أرى أنَّ الحب والعلاقات الغرامية نهاياتها تعيسة يا صاح ، قد نرى البداية جميلة و لكن الحبكة تكون أعقد من ذلك الّذي يريد أن يثبت لك أن ١+١+١=١ ..

لا أدري ، المهم ، لا أنصحك بهذه العلاقات بتاتاً ، مع أنني لا أعلم ، ليس ببعيد أن أرتبط غداً ، ولكن لا أتمنى ذلك !

_ و لما تُكبّر القصة يا رجل ، ما هي إلا علاقة بين اثنين يحبان بعضهما ، أنا معك أنه قد يحدث بعض المشاكل ولكن ..

_ بعض ؟ ، أكمل أكمل .

_ نعم بعض المشاكل ، و لكن هل ترى العاقل يظلُّ هكذا ؟ ، أي يظلُّ يفعل هذه المشاكل مع فتاة يحبُّها ، أكيد لا ، لا أظن أنَّ المشاكل تدوم في علاقة ، يحبّان بعضهما حب حقيقي !

_ عامر ، صدّق أو لا تُصدّق ، ليس هنالك حب حقيقي كما تدّعي أنت ، والمشاكل تحصل في كل يوم و في كل مشكلة تنقص من قيمة بعضهما البعض رويداً رويداً ، و بالنهاية ترى أن القيمة تصبح صفر ..

أتعلم !؟

هذه العلاقات أشبه برجل يعمل طوال اليوم ، و لكنه غير قادر على سد حاجات أبنائه ..

القصة باختصار معقّدة ، لذلك أنا أرى لو تساعدني على أن أنساها ، فهو خيرٌ من أن تقنعني أن أُكلّمها .

_ ولو يا حُسام ، ما أُريد إلّا مصلحتك !

و إن كُنتُ أريد الصلح بينكما ، هذا لأنّي أريد أن أراك فرحاً و مسروراً مع من تحب ، لذلك دعني أفكّر بطريقة تجمع بينكما .

_ عامر ، لا أريد منك سوى طريقة التخلّص من التفكير بها ، ساعدني لكي أنساها يا رجل !

_ فشرت ، سأجمع بينكم ، يعني سأجمع بينكم .

_ يا حبيبي ، ما هذه البلوة ، أريدُ على أن أنساها يا عامر ، لا تُعاند !

_ و من أنت حتى تريد و تفعل ما يحلو لك ، لو أنّك تريد مصلحة نفسك لكنت فكرت مثلما أفكّر الآن ، لكنك لا تعلم سوى أن تتفلسف !

_ يا عامر ، أغلق على هذه السيرة ، أرجوك !

_ افعل ما يحلو لك فعله ، و لكن غداً ستكون الفكرة و الخطط جاهزة .

_ استغفرُ الله و أتوب إليه ، اعطني هذا الخرطوم لأشفط ما بداخله ..

_ خُذ .

وفي اليوم التالي ، أيضاً ذهبوا إلى ذلك المقهى ، و كان عامر مُجهّز هذه الأفكار و الخطط ، لكي يعرضها على حُسام .. فقال له :

_ أتعلم إنني سهرتُ لأجلك !؟

_ و لماذا ؟

_ يا بُنيّ ، لقد قلتُ لك مراراً و تكراراً سوف أُفكّر بفكرة تربط بينك و بين تلك الفتاة التي لا أعلم ما اسمها ، و لكن ليس مُهماً ، الأهم من هذا كله هو إنني أحضرت لك خمسة خطط ، و عليك باختيار خطة واحدة .

_ و من قال لك أن تتعب عقلك ، قلت لك أيضاً مراراً و تكراراً أن لا تفكّر ، و إن فكرت ، فعليك أن تفكّر بخطة لكي أنساها ، أرجوك يا عامر دعك من هذه السخافة !

_ سخافة ؟

سخافة يا حُسام ؟

_ عامر ، أرجوك ..

_ لا يا حُسام عليك أن تسمع منّي على الأقل ثلاث خطط ، و بعدها أنت حر .

_ حسناً ، أتحفنا يا أبا الخطط !

_ الخطة الأولى ستكون كالتالي ، علينا أن نُفكّر بالطريقة التي ستجلب لنا رقمها ، و بعدها ستُكلّمها ، بالأول ستسألها عن أخبارها و سيكون حوار عادي ، و بعدها إن كمّلت الحوار معها و لم تنهِ حديثك ، حاول أن تُصادقها بالأول ، حاول التقرب منها بالكلام ، حاول أن تهتم بها ، هكذا ومع الأيام ستُعبّر عن مشاعرك لها ، و لكن أنصحك أن تمضي بالصحبة هذه على الأقل شهر واحد ، ما رأيك ؟

_ ما هي الخطة الثانية ؟

_ ها ، حسناً ، الخطة الثانية و ما أدراك ما الخطة الثانية ، هذه من أروع الخطط و كما تعلم أنَّ خير الأمور أوسطها ههه ..

_ دعك من الكلام الفارغ ، و قل لي ما هي !؟

_ أمراً و طاعة ، الخطة ستكون كالتالي ، سنذهب و سنراها و إن كانت بمفردها فهذا جيّد ولكن و إن كانت مع أصدقائها فلا بأس ، المهم ..

سوف أذهب و أبدأ بالتغزّل بها ، و أظلُّ هكذا حتى تأتي أنت و تركض إليَّ و تدفعني بيدك في الأول و تقول لي : دعك من هذه الفتاة و إلّا ، فسأقول لك : و إلّا ماذا ، و من أنت ، لا تتدخل في ما لا يعنيك و إلّا أنا الذي سأضربك ، و تبدأ أنت تبرحُني ضرباً أمامها ، و لكن أخشى ما أخشاه أن تضربني بقوة !

و لكن ليس مُهمّاً ، و بعد هذا كلّه سوف أهرب و أنت تذهب و تُكلّم الفتاة و تسألُها إن كانت بخير ، و بعدها تظلُّ كل ما تراها تُسلّم عليها ، و بعدها نُفكّر كيف تجلب رقمها ، ما رأيك يا باشا ؟

_ يا لك من فيلسوفٍ أحمق ، أتدري ؟

_ ماذا !؟

_ لو أنّك شارح نظرية داروين المُعقّدة ، لكان خيراً لك من هذه الخطّة الفاشلة !

_ حُسام !

ألا تشعر بأنك زوّدتها قليلاً ؟

_ قليلاً ؟

قل لي ما هي الخطّة الثالثة ؟

_ لا أدري لماذا أشعر و كأن هذه الخطة هي الأحسن و الأفضل لك !

المهم ، الخطة ستكون على الشكل الآتي ، بما أنّك لست ضامن إن كانت ستوافق عليك في هذه العلاقة أو لا ، و بنفس الوقت لا يهمُّك إن وافقت أو لا ..

_ أي ؟

_ المهم ، ستذهب و تكلّمها وجهاً لوجه ، و تقول لها كل ما بداخلك من مشاعر و أحاسيس و بطيخ و خيار و ..

_ قلتُ لكَ دعك من السخافة !

أأنا ذاهب إلى سوق خضرة أم عملية تُحدّد مصير شعور في داخلي ؟

_ sorry ، المهم ، بعد هذا سوف تتكلّم هي ، و لكن عليك أن تُقاطعها و تقول لها : أرجو أن تُفكّري جيّداً قبل اتخاذ مثل هذا القرار ، سلام .

و تذهب بعدها و تنتظر الرد ..

_ على الحمام الزاجل ؟

_ ههه لا يا صاح ، سوف نُفكّر بعدها بطريقة ، و نجلب لك رقمها .

_ أعجبتني الفكرة ، أتعلم لماذا ؟

_ أعلم ، و لكن أُريد أن أسمعُها منك .

_ لأنني على ثقة ، إنّها سترفض ، فهذه الخطة أو ردة فعلها بشكل عام، سيكون سبب في نسيانها !

_ و من قال لك هذا !؟

أنا أرى غير ذلك ، و سترى ذلك أنت أيضاً يا حُسام !

_ أتعلم إن صار مثلما قُلتَ أنت ، فسأظلُّ قلقاً طيلة فترة العلاقة الّتي لا أدري إلى متى ستنتهي !

_ و لما القلق يا بُنيّ ، ممّا ستخشى و أنت مع من تُحب!؟

_ أخشى ما أخشاهُ هو أن تُعجب بمن هو وسيم الخُلق !

_ أتخشى ممّا تخشى منه هي ، أليس الفتاة هي من تخشى من هذا الفعل من الشاب ؟

_ و هل الشاب أتى على محض الصدفة لكي لا يشعر بالقلق من هذا أم تريدُ أن تقنعني أنَّ لا توجد فتاة تعمل هذا !؟

_ لا يا ، لا أقصد ما تقصُد ، ولكن كل القصّة إنني فكّرتُ في الغالبيّة ..

_ حتى ولو كانوا أكثر من أغلب ما تتوقع أنت ، هُنالك من يسهر الليل لوحده و هو يُفكّر بفتاة نائمة في بيت أهلها ، و لكنه يرى أنَّ كل ما هو غلط يجب توخّي الحذر منه ، ترى أنّه قلق جدّاً و غير قادر على أن يُفكّر بإيجابيّة مع العلم أنّه يُشجّع كل من يعرفهم في أن يُفكّروا بإيجابيّة ، لا أدري و لكن آمل ألّا أشعر بهذا الشعور التافه !

_ لا أدري ماذا تقصد ، ولكن لا تشغل بالك فيما لم يشغل باله بك !

_ و أخيراً أتيت بكلام مثل العسل يا رجل !!

_ واجبي ، لذلك عليك بهذه النصيحة يا حُسام !

_ قل ما بدا لك يا صاح .

_ إذا ارتبطّت هكذا بشكل غير رسمي ، دع كل ما بداخلك ليس رسميّاً ، أي لا تهتم و لا ترسم خطط فيما سيحدث بعد سنين ، و لا تشغل بالك أبداً ، كُن طبيعي و كأنك مُصاحب ، و أيضاً فكّر إن حدث ما يُسمى بالفراق، عليك بالتفكير بالتّالي ، جدّد و بالأخير ستُلقى بالّتي ستكون أم عيالك !

_ أهذه نصيحة أم رخصة ذهاب إلى التهلُكة ؟

ألا ترى أنّك تتكلم و كأنّي لا أملك مشاعر ، أو كأنّني ذلك الوقح الّذي لا مثيل له !؟

_ أنا أريدُ مصلحتك فقط لا غير .

_ و أنا أريد راحتك و راحة عقلك فقط لا غير !

_ حسناً ، متى ستذهب و تتكلّم معها !؟

_ إن رأيتها ، حتّى ولو الآن !

_ لا تكن عجولاً !

_ لست عجولاً ، و لكنّني أُحبُّ أن أتخلّص ممّا أنا عليه الآن !

_ و بم تشعر !؟

_ عامر ، قلت لك فكّر بطريقة لكي أنساها ، و أشكرك على هذه الخطّة الجميلة.

_ العفو ، هذا من واجبي ، و من واجبي أيضاً أن أراك بأفضل حال مع من تحب.

_ دعك من هذا ، و أعطني هذا الخرطوم و لا تنام على الشيشة

_ خُذ .

(بعد أسبوع)

_ أُبشّرُك يا صاح !

_ بشّر !؟

_ بعد عدة أيّام من التفكير العميق في الخطّة ، ذهبت إلى المدرسة التي تدرس فيها ، و بقيتُ أنتظر انصرافها من المدرسة ، و بعدما انصرفت ألحقتُ بها ، و عندما رأيتها دخلت إلى شارع لا يوجد فيه أحد ، قلت لنفسي : هذا هو المكان المُناسب .. فعجّلت و ذهبتُ إليها ، و قلت لها :

_ مرحبا .

_ أهلاً !

_ أ أ أ أيمكنني أن آأخذ من وقتك قليلاً ؟

_ عفواً ، و ما الموضوع يا حُسام !؟

_ لا أدري من أين سأبدأ ...

المهم ، أتيت لكي أُفضفض لكِ ، أو أُعبّر لكِ ما بداخلي ..

_ و ما هذا التعبير الذي يجعل منك متردّداً ، و مرتبكاً هكذا !؟

_ (و بعد عملية الشهيق و الزّفير) ل ل لا أدري صراحةً ، أشعر و كأنّني سأخوض معركة هه .

_ قل ما بداخلك و خلّصني ، مستعجلة !

_ أنا .. أنا أُحبُّكِ ، لا أدري ، شعرت و كأنَّ هذه الكلمة صعبة ، مع العلم أنّها ليست مُعبّرة للشعور الّذي في داخلي ، و لكن أردتُ أن أتخلّص من ما كان يختلج في داخلي ، لعلّي أرتاح !

(فابتسمت ابتسامة الملكة لعبدٍ عمل بجد و اجتهاد) ، و قالت: جميل ، أهُنالك أمور أُخرى تودُّ أن تخبرني إيّاها ؟

_ ل ل لا ، و لكن أرجو ألّا تفهمي غلط ، كل ما هُنالك ، أردت أن أُخبرك بما في داخلي ، و أرجو أن لم أكن مصدر إزعاج بالنسبةِ لكِ .

_ حسناً ، إن لم يكن هنالك شيءٌ ثانٍ ، فاعذُرني إنني ذاهبة .

_ إن شئتِ ، فلا تعتذري .

_ حسناً ، سلام .

_ سلام .

هذا ما حدث معي ، و كنت متوقعاً للصراحة ..

لذا أشكرك على هذه الطريقة التي جعلتني أن أتأكد أنّها غير مُبالية لأمري أبداً .

_ أأصبت بالجنون ، أم ماذا حدث لك !؟

الابتسامة دليل قوي ، على أنّها خجلت ، و أيضاً فرحت بما قيل لها ، فكّر يا بُني و لا تغلق دماغك الصغير هذا !

_ أَتريدُ أن تفهم حركات الفتيات أكثر منّي ؟

_ لا تفهم الفتاة إلّا الفتاة ، و لكن لا تحكم من عندك بهذه السرعة .

_ ااا ، و ما حكمك أنت ؟

و إن فرضنا أنّها عُجبت ، أو فرحت بما قيل لها ..

ما الاستفادة من هذه المعمعة ؟

_ الاستفادة ؟

يا بُنيّ ، عندما تذهب كل مرة إلى نفس المكان ، و تُبيّن لها أنّك مغرم بها ، فهذا ما يجعلها تُصدّق و تثق في حبّك لها !

_ عامر ، إن لم تُغلق على أُم هذه السيرة ، سترى منّي ما لا يعجبك !

_ حسناً ، مثلما تُريد !

و لكن إن كُنت تحبّها من كل قلبك ، فنصيحة لا تُضيّعها !

_ يا صاح ، إن كنت أحبّها فلما لم أطلب يدها ؟

هذا ليس حب ، إنّها الشهوة بعينها .

أغلق على السيرة ، أرجوك !

_ حسناً ، حسناً !

(و بعد مرور أسابيع على هذا الحال ، و نفس الروتين) ، لقد طرحَ حُسام على عامر فكرة التدخين بدلاً من الشيشة ..

_ لما لا نُدخّن بدلاً من هذه الشيشة ؟

_ فكرة جميلة ، و ذلك لأنَّ هذه الشيشة مضرّة و كل سحبة منها كأنك تُدخّن علبة كاملة من التدخين ، لذا أين المُشكلة في التدخين .

_ يا لك من فيلسوفٍ خبيث ، و هذا ما كنت أُفكّر به .

(و طبعاً ، كانوا يُدخنون علبة في غضون ساعتين ، و يتبادلون الأحاديث التافهة ، كعادتهم المُعتادة)

و لكن كما نعلم أنَّ الدخّان له رائحة سيئة (جربانة) ، و لكي لا يشكُّ أحد من العائلة ، كانوا يأخذون علبة سكّر أو علكة من البقالية في طريقهم إلى المنزل ..

و في يوم من الأيام ، و هم يتعاطوا هذا السّم الجديد ، و تعلّموا أن كل واحد يأخذ علبة و يضعها في جيبه ، بل و يتباهى كل واحد منهم بالولّاعة التي يملكها ..

حدث ثمّة حديثٍ شيّق جدّاً ، لا يكاد أن يحدث هذا الحديث إلّا معهم .

_ يا عامر ، أتدري ما الذي يعجبني في الفتاة ؟

_ لا ، ماذا ؟

_ تعجبني تلك التي تُحافظ على أنوثتها ، الفتاة التي تملك الحياء ، التي تُعرف باسمها و حيائها و كلامها ، لا بجسمها !

تعجبني وفاء كثيراً !

_ وفاااء !!!!

_ فلتخفض من صوتِك قليلاً ، ما لك !؟

و ما لها ، تلك الفتاة المُهذّبة ، و التي لا مثيل لها !

_ و لكن يا صاحبي هذه ما كنت أريدها لي !

و أنت قلت ذات مرّة ، لو أعجبتك فتاة ، تذهب و تطلب يدها ، ماذا أصابك ؟

_ ماذا تقصد أنك تريدها لك !؟

ألم ترى غيرها ؟

و بالنسبة لحبي لها ، فأنا تيقنتُ أنَّ الكلام الذي قلته لك من قبل ، لا يقدّم و لا يُأخّر ، و أنا إنسان ، من حقّي أحِب و أُحَب !

_ إن شئت فخذها لك ، و لكن أُريد منك أن تكون صادقاً بمشاعرك اتجاهها !

_ الذي يراك و يسمعك يقول أنّك تزوجتها ، ثم طلّقتها لأجلي !

لا تشغل بالك في هذا ، لولا حُبّي لها ، لما قلت لك ، بل و أنا على تواصل معها ، و سأعترف لها أيضاً ، و لكن لا أدري متى !

_ على تواصل !؟

م متى ؟

_ سؤال جميل !

يوم من الأيام ، كنت أُريد الدرس الذي أخذتموه و أنا لست موجود ، و إن لاحظت فأنا لم أطلب منك !

بل بحثت على اسمها في الانستغرام ، و أرسلت لها : أنّني أُريد ما أخذتموه اليوم ، لقد كنتُ مريضاً !

أي استغلّيتُ المرض و هذه الحُجّة لكي أُكلّمها .

ولكن أتعلم !؟

كانت قليلاً ما تتكلم ، بل لا تتكلّم أبداً ، و هذا ما جعلني أن أُحبّها أكثر و أكثر ، و هذا ما جعلني أيضاً أن أقول لك كم أُحبّها !

_ كل هذا حدث معك ، و أنا لا أدري !؟

_ بل و أُزيدك من الشعر بيتاً !

_ زد ما بدا لك ، زد !

_ لقد أصبحنا نتكلّم كثيراً ، و نتبادل الأحاديث ، و نتعرف على ما نُحب و ما نكره ، يعني أودُّ أن أُخبرها كل ما بداخلي في هذه الليلة ، ما رأيك ؟

_ مم مثلما تشاء يا حُسام ، لقد حدث كل هذا و أنا أبحث عن حسابها و لم أراه !

_ أرأيت ؟

هذا ما يؤكّد لك أنّها من نصيبي ، و ليست من نصيبك .

و لكن لحظة !

ما رأيك في غدير ؟

فأنا أراها جميلة و مؤدّبة ، و مُناسبة لك !

_ حُسام ، دعك من هذا الكلام !

و مبروك من الآن يا صاحبي ، أرجو أن يكون هنالك نصيب بينكما .

_ أتمنى ، شُكراً ..

و أنا أيضاً أرجو أن تُفكّر في ما قلته لك عن غدير ، عسى أن تجعلك تنسى الفتاة التي أُحبّها أنا !

_ لا بأس ، لا تهتم بهذا الأمر .

و لكنك لم تقل لي !

كيف ستخبرها عن حبّك ، أقصد ما هي الطريقة ؟

_ سؤال جميل جداً ، هذه الأسئلة أُحبّها جدّاً يا صاح !

أوّلاً ، سنتكلّم مثل كل يوم ، و كأن شيءٌ لم يكن ، و بعدها سأُلمّح لها على أنّني الرجل الذي يغار عليها و يحبّها ، و أنت أعلم مني بهذا الحركات ههه ..

_ رجل ؟

أكمل ..

_ أينعم ، و بعدها سأقول لها : أودُّ أن أقول لكِ عمّا يختلج في صدري !

و ستقول لي : تفضل ، قل !

فسأقول لها : أنسي ليس هذا هو الوقت المناسب ..

فأنت تعلم حركات البنات و كيف ستُلحُّ عليّ أن أقول لها و هكذا ..

_ بلا مقطوع عن حديثك ، و لكن أرى أنَّ من الأفضل أن تذهب إلى البيت ، و تكلمها ، و غداً تأتي لي بالنتيجة !

_ سمعاً و طاعة يا باشا ، مثلما تُريد .

...

فذهب حُسام إلى البيت ، و بقي عامر يتحسّر و يُفكّر و يُدخّن سيجارة تلو الأُخرى ، و يسمع إلى هذه الأغاني الحزينة و يندب حظّه بنفسه ، بل و يكلّم نفسه بنفسه ، و يدخل في حالة شبه الاكتئاب !

و في نفس هذا الوقت ، كان حُسام يُكلّم الفتاة ، و يُبيّن لها أنّه الشاب الغيّور الّذي لا مثيل له ، و الّذي يحرق كل من يريد أن يبتسم في وجهها ، و هو ليس بوسعه أن ينام في مكان بمفرده من الخوف .

حدثت تلك الأحاديث التافهة التي تحدث بين أيَّ شاب و فتاة ، و في منتصف الليل ، أراد الأستاذ حُسام أن يُخفف من دمّه قليلاً ، و يعترف لها بحبّه ، و عن مشاعره التي لا تُعبّر من خلال الكلمات ، فقال :

_ أتعلمي ؟

_ ماذا ؟

_ لا شيء ، ليس هذا هو الوقت المُناسب ..

_ قل ، و إلّا سيحدث ما لا يعجبك يا حُسام !

_ انسي وفاء ، كل ما في الأمر أنني أشعر أنّه ليس الوقت المناسب لما سأقوله .

_ بلى ، إنّه الوقت المناسب

لا أدري و لكن لا أريد أن أُفكّر و أحلّل من نفسي ، قل ، فأنت أعلم مني كم أنا حشرية !

_ حسناً يا وفاء ، حسناً !

لا أدري كيف أُعبّر عما في داخلي اتّجاهك ، لا أدري ما هو ردة فعلك عندما تعلمي أنّني قد وقعت في حبّكِ ، لا أدري ما هو ردة فعلي اتّجاه ردة فعلك ، وضعي ليس بتمام ، خائف من الرفض

وخائف أيضاً من حدوث أي حاجة تُفرّق بيننا ، كل ما في الأمر هو أنّني أُحبُّكِ !

أحب تلك الابتسامة الخفيفة التي تخفيها عن الجميع ، أحبُّ عيناكِ ، و صوتُكِ الَّذي يسرُّ خاطري ..

كل ما في الأمر هو أنتِ ، و كل ما أخاف عليه هو عدم تقبلُكِ ..

أخشى ما أخشاه أن أكون سبباً في تعكير مزاجُكِ في هذه الليلة ، أخشى ما أخشاهُ أن تأخذي أفكاراً خاطئة عنّي ..

هأنا ، و هذه هي كلماتي ، و ليست مشاعري الحقيقية ، فهذه المشاعر لا تُعبّر بأسطر من الكلام ، و لكن قد تشفي قليلاً مما كنتُ أعاني منه .

_ ...

لا أدري كيف أو ماذا أرد ، ليتك تعلم ردّة فعلي ، أو ما أشعر به من داخلي !

_ تحلّي بالصبر ، و اسمعي لما يقوله قلبك !

_ قلبي !

و هل ..

_ ماذا ؟

_ لا شيء ، دعك عنّي لكي أُفكّر فيما قلته أنت !

_ أمراً و طاعة ، أنا لم أنام ، و إن أردتِ أن تتكلمي معي ، فأنا جاهز ، موجود .

_ لا ، نام لكي لا تكون مرهقاً غداً ، و أنا س ، انسى .

_ لا تفكّري كثيراً ، و نامي ..

الصباح رباح .

_ ومن هذه رباح ؟

_ هههه لا هذه كلمة تُقال بعد كلمة الصباح ، أي أنّها مثلٌ شعبي على ما أعتقد .

_ أها ، طيب ، حسناً .

_ حسناً يا ابنتي ، تصبحي على خير .♡

_ و أنت من أهلي

الخير

أقصد أهل الخير *

_ ليست مشكلة ، سلام .

و في صباح اليوم التالي ، جهّزت الآنسة وفاء جريدة ، وأرسلت لحُسام ..

_ حُسام !

آمل أن تكون نائماً الآن ، لأنني سأبعثُ هذه الرسالة و سأغلق الجوّال ، لا أدري لماذا ..

المهم ..

شُكراً على الكلام اللطيف الذي أرسلتهُ لي البارحة ، لا تعلم كم فرحت ، كدتُ أن أطير من الفرح ، كدتُ أن أطير و أن أصل إليك لكي أقول لك أيضاً عمّا في داخلي ، لقد جعلتني أن أحب العيشةَ هذه من أوّل و جديد ، جعلتني أرى الحياة من منظور إيجابيّ و أنا معك ، أنت الشخص الوحيد الذي لا أريد أن أخسره ، الوحيد الذي نتشارك فيما نحب و فيما نكره ، الوحيد الذي أشعر و كأنّك قطعةٌ تكملني ، قطعةٌ ضائعة منّي منذ زمن بعيد ، و أنا أبحث عنك في كل مكان ، أصبحت قادرةً على أن أقول لك : أنت هو الذي أبحث عنه ، أنت الذي يبحث عنه قلبي ، أنت الذي أخشى أن يأتي يوماً و أن تبتعد عنّي ، أنت الوحيد الذي أراهُ في عيني ، الوحيد !

قلبي ..♡

_ !!

ما هذا الكلام الذي يسرُّ الخاطر ، ما هذه الصباحية الجميلة ، استحالة أن أرى مثل هذه الصباحية حتى في منام العصر ، لا تُصدّقي كم أنا سعيد ، لا تُصدّقي كم أنا فرحٌ بما قيل لي الآن... نجمتي الجميلة ..

أيدري الصّباح أنَّه قد جعلني أراه أجمل من قبل !؟

أيدري الليل كم سهرت و أنا أُفكّر في كلامكِ هذا ؟

أتدرين أنتِ الشعور الذي أشعر بهِ الآن ؟

إن كدتِ أن تطيري ، فأنا أشعر و كأني طائرٌ ليس بوسع أيَّ صائدٌ أن يصيدني من الفرحة التي تكنُّ في قلبي الآن ..

أما بعد ..

فلم أكتفِ بالفرحة هذه فقط ، بل سأسعى أن تكون هنالك فرحةٌ أكبر تجمع بيني و بينك .

سنسعى سويّاً على أن نُحافظ على هذا الحب .

و كما تعلمون ، الأحاديث التي تنشأ بين أي شخصين مُصاحبين ، لذا لو بقيتُ أكتب مائة صفحة ، لم أنتهِ من المحادثات الخرطورومنسية هذه .

.....

بقي الأمر هكذا لعدّة أشهر ، يتكلّموا في الحب ، و يشربوا الحب و يأكلوه ، بل و لا يشبعوا منه ..

و ماذا عن اسم أول بني آدم لهم ، و ماذا عن صالة الفرح ، و عن من سيتولّى أمور الدنيا ، و عن الفتاة التي لا تقبل أن الأستاذ حُسام يعمل خارج المنزل ، بل تريده في البيت لكي تشبع من رؤيته ، و عن الأستاذ حُسام الغيّور الحشم الرجل المغوار ، الذي لا يقبل أن تخرج امرأته من دون إذنه ..

أنا لا أعلم من هذه الامرأة ، و لكن يقصد هذه الفتاة ..

و أحاديث فوق أحاديث فوق كلام ليس لهُ فائدة ..

صارت ثمّة مشكلة صغيرة بينهم ، كما تعلمون طبعاً ..

فالمشاكل في مثل هذه العلاقات أمرٌ مفروغٌ منه .

المشكلة كانت عبارة عن حُسام الذي من كثر اهتمامه و تعلّقه (على أساس) بدأ يملُّ من العلاقة ، و بدأت الأفكار الشيطانيّة تدور في رأسه ، و بدأ يُفكّر كيف يأتي بغدير .

نعم غدير ..

تلك الفتاة التي نصح صاحبه بها ، و لكنه عندما رأى أنَّ صاحبه ليس بخرجٍ على أن يأخذها له ، فقال لما لا آخذها لي !

مع العلم أنّه فكّر بشكل مدروس ، و فكّر بطريقة لا مثيل لها كيف يجمع بين الاثنين معاً .

المهم ..

كان الأمرُ واضحاً من نبرة كلامه في المكالمات الليليّة ، من كلماته التي لا تكاد أن تكون مثل قبل ..

أي تشعر و كأنّه يُكلّم فانز من فانزاته و ليست حبيبته !

لذلك قالت له الآنسة وفاء :

_ ما لك يا حُسام ، لماذا تتكلّم من رأس مناخيركَ ؟

_ لا شيء ، ليس مُهماً .

_ ما هو الشيء الذي ليس مُهماً ، عن ماذا تتكلم !؟

كف عن الألغاز و تكلّم بوضوح ، أصبحتُ خائفة و قلقلة عن ما تفعله !

_ قلت لك ، ليس هنالك شيء مهم ، لا تلحّي !

_ و لكن حبيبي يعلم أنني حشريّة ، و أُلحُّ كثيراً .

_ و أنا أريد منك أن لا تلحّي ، و أن تكوني طبيعيّة !

_ طبيعية ؟

_ أقصد أن تتزني في كلامك ، و أن لا تسألي كثيراً ، فأنا لا أحبُّ هذه الأسئلة و النق و الكلام الذي ليس له فائدة .

_ حُسام !

أأصابُك الجنون ؟

أم التقيت بمن هي أجمل منّي !

أجب و لا تكذب !!!

هُنا شعر الأخ و كأنّه بان ما عليه ، فتحجّج كعادته المُعتادة ، لكي لا تطير هذه الفتاة من يده (من غير شي عصافير حب و طايرين من الفرحة على بعض *)

فقال لها :

_ حدث معي ثمّة أمرٍ ، مشاكل عائليّة ..

انسي يا عُمري .

_ و كيف لي أن أنسى ؟

أخبرني ما الذي حصل !؟

_ مشكلة عاديّة ليس بكبيرة ، ولكن أنا أتحسّس من المشاكل هذه ، و لكن لا تشغلي بالكِ ، و اعذريني على طريقة كلامي .

_ إن كنت في حالة غضب ، فليست مشكلة أن تفشَّ خلقك و غضبك فيني ، و لكن المشكلة هي أن تصمت و لا تتكلم ما حدث معك !

_ هذا هو الصح ، و لكنّني و مع الأسف في مثل هذه المواقف لست قادراً على ضبط نفسي ..

_ لا يا قلبي ، أريدُك أن تتحلّى بالصبر لكي لا يؤثّر عليك هذا الشيء بشكل سلبي فيما بعد .

_ إن شاء الله .

و لكن هنالك أمرٌ ثاني عليَّ أن أخبرك به ..

_ ما هو ؟

أتعرفين غدير ؟

_ نعم ، و ما بها ؟

_ صاحبي الذي كان معي ، قد أُعجب بها ، و لكنّه لا يعلم كيف أن يصل إليها ..

فقلتُ في نفسي ، أنّك أنتِ الوحيدة التي تقدر على جلب معلوماتها .

_ و لكن يا حُسام أنا لا أعلم عنها سوى اسمها !

_ و لكنّكِ قادرة على جلب حسابها ، على ما أعتقد !

_ سأُحاول لمَ لا ، و أتمنى التوفيقُ لصاحبك ، و أتمنى أن توافق عليه .

_ و أنا أيضاً أتمنى ذلك .

و بعد أسبوع استطاعت أن تجلب له الحساب ، و هُنا استغلَّ الفرصة ، و لكنّه تهوّر و طحشَ من دون تفكير ..

_ ها هو الحساب ..

_ و أخيراً !!

_ ما لك يا عمري ، و كأنّك أنت الذي تُريدها و ليس صاحبك ..

_ ههه ، أليس كذلك ؟

المهم ، سأكلّمها ، لكي تعلم أنَّ الباشا عامر مُعجبٌ بها ، و لكي تكون على علمٍ بهذا الأمر.

_ لا ، لا تكلمها !

دع صاحبك هو الذي يكلمها !

_ هنالك أمور لا تعلميها يا عمري ، ليس الأصح دائماً أن تأخذي الأمور من الجانب الذي ترينه ...

عامر نوعاً ما دماغهُ صغير ، و سيرتبك إذا تكلّم معها ..

بل و هذه أول مرّة في حياته !

_ طبعاً ، أنت متعوّد ، و هذه ليست أول تجربة بالنسبةِ لك .

_ وفاء !

_ حُسام ، إن تكلمت معها فلا تكلمني !

و أنا عند كلامي هذا !

_ وفاء ، أأصابكِ الجنون ، أم ماذا !؟

_ حُسام ، احترم مشاعري قليلاً !

_ حسناً ، و لكن مثل هذا العمل عليكِ أن تشجعيني عليه !

فأنا سأعمل جاهداً لأجل صاحبي !

ده عمل خير ي بنت الذين .!

_ طيب ، أنا سأُكلّمها !

_ لاااااا

و هل أقبل أن تنزلي لهذا المستوى !؟

يا وفاء ، يا عمري ..

لو أردت لذهبتُ و كلّمتها ، و لكنّني أنتظرُ الموافقة منكِ .

فلا ترفضي .

_ حسناً يا حُسام ، و لكن لا تأتي بسيرتي لها ..

لا أعلم و لكن أخشى أن يكتشف أمرنا ، و أن تُفشي هذا السر لأُناس آخرون ..

و أنت أعلم بالتالي ..

_ لا يا روحي لا ، لا تخافي ، فأنا لست متهوّراً لهذه الدرجة .

_ حسناً ، مع العلم أنا لم أكن راضية كل الرضا عن هذا الشيء ، و لكن ليست مشكلة ..

آمل أن تأتي بنتيجة جيّدة .

_ إن شاء الله ، فأنا كل ما أريده سعادة عامر .

.....

أي تعدد ما بين الحبايب ..

هذا ما نتج عن التطوّر .

المهم ..

أخذ حسابها ، و بدأ يتكلّم معها ..

على أساس أنّه الزميل العفن الذي يهتم بزملائه و و الخ.

حتّى أن صار بمرتبة الصديق ، و إلى أن صار بمرتبة البيست فريند فور أيفر ، و أنتم تعلمون أكثر عن الأحاديث البيست فريناوية التي تحصل ..

و لكن ، و مع قلّة التفكير ..

سمح الأستاذ حُسام لغدير أن تضع تاريخ تعارفهم على بعض في البايو ، و كان كالتالي ..

Best freand h/g 2/6 ♡..

تشعر و كأنّها كاتبة قانون فيزيائي ، و ليس تاريخ مميّز .

و كل هذه الأحداث صارت في غضون شهرين ، و كانت الأمور نايس جدّاً بين حسام و وفاء ، بل و يُبيّن لوفاء أنّه يُحبّها كل يوم أكثر من الذي قبله ..

و **لكن** ..

و ما أداركم ما كلمة (لكن) ..

عندما كان المسيو حُسام نائماً ، شعرت وفاء بالملل ، فدخلت إلى بروفايل غدير ..

و هنا كانت الصدمة !

بالبداية عندما رأت البايو الخاص بغدير ، قالت لا بأس ، فاحتمال كبير أن تكون لها صديقة تبدأ اسمها بحرف ال H

و لكن شكّت نوعاً ما في الأمر ، عندما رأت التاريخ 6/2

فقالت في نفسها ، لما لا أبحث في محادثتي مع حُسام ، عن اليوم الذي أخذ منّي حسابها ..

ففعلاً ، بدأت بالبحث و تعِبت كثيراً ، إلى أن وصلت و رأت بأُمِّ عينها التاريخ ، و الذي كان و لا بدَّ منه : ٦/٢ .!

انفلجت من الصدمة ، و لم تعد تعلم كيف تتصرّف ..

و أخذت تُفكّر بينها و بين نفسها عن الذي رأته .

أيُعقل ؟

أيعقل أن يفعل حُسام كل هذا !

مستحيل !

لا بل ليس مستحيلاً ، لأنّه كان يلحُّ في وقتها كثيراً !

و كأنّه يريدها لنفسه ، لا لصاحبه .

...

في حين أنَّ حُسام كان مطموس طمس في مناماته ، و هو يحلم في غدير ..

و في نفس الوقت كانت وفاء مصدومة ، لدرجة أنَّ أصابعها تكادُ أن تتوقف عن الحركة من الصدمة ..

أصبحت ترتجف ، و تغيّر مزاجُها من كثر التفكير !

و لكنَّها حاولت أن تتجاوز ، و أرسلت لغدير ..

لعلَّ و عسى أن تكون غدير نشطة ، و ليست مغمورة في المنامات كالباشا .

فأرسلت . .

_ مرحبا غدير ، إن كنتِ نشطة ، فردّي ضروري !

و لكن مع الأسف لم يكن الحظ لصالحها ، فكانت نائمة .

و هي بقيت على هذا الحال ، بل و أسوأ أيضاً ..

و بقيت تُفكّر إلى أن أذّن الفجر ..

و هي لم تكن تُصلّي من الأساس ، و لكنّها عندما سمعت الأذان ، قامت إلى الوضوء و جهّزت نفسها ، و توجّهت إلى القِبلة ، فبما أنّها كانت ناسية كيف يكون الصلاة ، بحكم أنّها كانت تصلّي في فترة الطفولة ، و تركت ..

فبحثت في اليوتيوب ، و تعلّمت ..

و قامت إلى صلاتها ، و عندما سجدت دعت ربّها و قالت :

اللهُمَّ ..

أنت أعلم بذاتِ الصدور ، و أنت أرحم بنا من الكل ..

لا أدري كيف أعبّر ما بداخلي ، و لكنك تعلم ..

قرّبني إليك يا رب ، و قرّبني إلى ما تحب ، و بعّدني عن كل ما تكرهه يا رب ..

.....

فبعدَ أن خلّصت ، نامت ..

و عندما استيقظت ، كانت مرتاحة البال ، و كأنّه ليس هنالك ما حدث البارحة .

ففتحت الموبايل ، و أتاها صباحيّة من المسيو حُسام ، و أيضاً رد من الآنسة غدير ..

فلم تهتم بما أرسلهُ حُسام ، و دخلت إلى مُحادثة غدير .

_ أهلاً !

تفضلي ، ما الأمر ؟

_ أودُّ أن اسألك عن بني آدم اسمه حُسام !

أتعرفينه ؟

(فردّت بعد خمسة دقائق) ..

_ عفواً ، و لماذا ؟

_ مُجرّد سؤال ، و لكنّه مُهم جدّاً بالنسبةِ لي ..

_ أها !

نعم أعرفه ، وماذا بعد ؟

أهُنالك أسئلة ثانية ؟

_ ما علاقتك به ؟

_ آسفة ، و لكن هذا السؤال خصوصي !

_ خصوصي ؟

يا آنسة ، جاوبي ليطمئنَّ قلبي و عقلي من التفكير !

_ ولكن ، لا أعلم من أنتِ ، و ما هي العلاقة التي تربط بكِ بحُسام ، كيف لي أن أجب عن سؤال شخصي من شخص مجهول !؟

_ أنا أقرب الناس إليه

أنا حبيبته !

_ عفواً !!!

أيُعقل هذا !؟

_ نعم ، يُعقل !

لذا أخبريني ، ما علاقتكِ أنتِ بحُسام ؟

_ كعلاقتكِ معه ، بل و أكثر !

لا أدري ، و لكنّه لم يتكلّم عنكِ قط !

و نحنُ بيست فريند يعني ، كما تعلمي ..

_ مبروكٌ لكِ ، و له ..

و ليس ضروريّاً أن أعلم أكثر من هذا عنكما ..

سلام .

....

فدخلت إلى مُحادثة حُسام ، و حظرته فوراً ..

و مسحت التطبيق ..

و ندبت حظّها ، ولكنها لم تبق هكذا ، لأنّها علمت أنَّ هذا خيرٌ لها ، و تذكرت قول الله سُبحانهُ و تعالى :

عَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" سورة البقرة آية:٢١٦

فحمِدت ربّها كثيراً ، و بدأت تتعلق بالعبادات رويداً رويداً ..

بعد أن حظرت حُسام ، و مسحت برنامج التواصل بشكل عام ، لكي لا تتلقّى أيَّة إزعاج أو رسائل تافهة ، أو اشتياقاً لكلمات المسيو ..

بدأت تهتم في حياتِها ، و في آخرتها ..

تيقّنت بعد ذلك أنَّ الشاب الذي يحبُّها ، سيأتي و يتكلم مع أبيها ، و الذي يحبها و ليس قادراً (بحكم بعض الظروف) فسيصبر لمرور هذه الظروف ، و لم يتكلّم معها قط ، لكي يُحافظ على الجوهرة الحقيقيّة التي في قلبه ، ألا وهي الحب .

بدأت تقرأ الكتب ، تتدبّر كتاب الله ، تقرأ عن سيرة النبيّ الكريم صلى اللهُ عليهِ و سلّم ، و تعامله مع زوجاته .

تقرأ عن أُمّهات المؤمنين رضي اللهُ عنهم ، و تعاملهم ، و أفعالهم .

بدأت تشعر بالإحساس التي كانت تحلم أن تشعر به ، الشعور بالطمأنينة ، الشعور بالراحة ، عدم القلق من المستقبل ، و عدم التضجّر ممّا صار و حدث ، الإقبال على الحياة بروح جميلة ، تعلُّم ما يجب أن تتعّلمه ، التفاؤل المستمر ، و عدم التشاؤم ، التحلّي بالصبر ..

و الكثير من التغيّرات الإيجابيّة التي طرأت على حياتها ..

كانت قليلاً ما تتضجّر من كلام الناس ، و إلى أن وصلت لمرحلة لم تعد تهتم من الأساس ..

لأنّها و بكل بساطة عندما قرأت قولُه تعالى :

(إنَّهُ كانَ فريقٌ من عبادي يقولون ربّنا ءامنّا فاغفر لنا و ارحمنا و أنتَ خيرُ الراحمين

فاتَّخذتموهم سِخرياً حتّى أنْسَوْكُم ذِكري و كنتم منهم تضحكون

إنّي جزيتُهُمُ اليومَ بما صبروا أنَّهم همُ الفائزون) . المؤمنون .

..

بل و الكثير من الآيات القرآنية التي تكون كذلك .

بدأت تشعر بالطمأنينة ، و الراحة ..

حتّى ولو كان كلٌ من حولُها ضدُّها .

بدأت تقرأ كتب لتدبّر القرآن ، و أصبحت تفهم كلام الله عزَّ و جل .

تغيّر تعاملها مع الناس ..

تعاملها مع عائلتها ، مع أصدقائها ، أقاربها .

بل و عُرفت أنذاك بأكثر فتاة مُتسامحة مع الجميع ، أكثرُ فتاة تسامح و تعفو عن من ظلمها ..

﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ **الشّورى** .

أكثر فتاة تُعرف في أدبها ، أخلاقها ، حسنُ كلامها مع الغير ، عدم تضجرها مِمَّن يُخالفها ، و كلّما زادت معرفتها بالدين و سماعها عن قصص الأنبياء و الصحابة ، كلّما ازدادت محبّةً و تعلّقاً .

(وَ أَحْسِنوا إنَّ اللهَ يُحبُّ المُحسِنين) **البقرة** .

..

بل و كانت كثيراً ما تتأسف على نفسها ، بأنّها لم تكن تعلم كل ما عرفته ..

كانت تقول لنفسها : تمنيتُ لو أنَّ ما حدث الآن لحدث من قبل ، و تمنيتُ لو لم أكن الفتاة الّتي فعلت هذا و هذا ...

أصبحت مُتيقّنة ، أنَّ الذي يُريدُ أن يفلح في دُنياه ، فعليهِ أن يعمل لآخرته .

....

كانت تقول لمن حولِها : هذه كانت رحلتي ، بدأت مع حُسام ، كل التفاصيل التي عشتُها في الوقت ذاك ، تفاصيل تافهة ، أودُّ لو أنسى لكان خيراً لي ، و لكن أحمدُ الله كثيراً ممّا أنا عليه الآن ، لقد تعلّمت في هذه الفترة الكثير ، و أنا لا أنصح بأن تتخذوا نفس الطريق الذي اتَّخذته أنا !

أي لا تأخذوا الحياة على مبدأ ، دعني أُجرّب لكي أتعلّم ..

هذا المبدأ ، و إن كان حصل معي ، فهو مبدأ ناقص !

و إن كنتُ تعلمتُ من الأخطاء ، فليست بالضرورة أن يتعلّم الكل من أخطائه ، بل هنالك الكثير و الكثير من الفتيات اللاتي لا يتعلمن من أخطائهن حتّى ولو عادوا ما عليه أكثر من عشرون مرّة ، بل و هنالك من تُفكّر مع الأسف ..

فعل كذلك !؟

أي ، خير !

غداً سيأتي من يُعوّضه ، هه .

هذا غلط شائع ، و أنا من موقفي هذا أُنبّه كل فتاة مِنكُن ، أن لا تتبعوا ما تشته أنفسكم ، فإن النفس لأمَّارةً بالسوء !

اللهُمَّ إنّي بلَّغت .

هكذا كانت رحلتُها ، فعلت ، أخطأت ، تعلّمت ، تابَت .

و كلٌّ منّا من يخطأ ، و هنالك من يعيد نفس الغلط الذي لا طالما سبق و أن فعله !

أي تخيّل أنَّ هنالك من مشى في طريقٍ مُظلم ، رغم الطرق المنوّرة التي حوله ، و رغم الصعوبات التي واجهها في الطريق .. و بعد خروجه ، سلك نفس الطريق الذي رجع منه .

قصص و حوادث تحدث مع أُناس ، تكاد ألّا تُصدّقها من شدة غباء الشخص في المواقف التي كانت تحدث معه !

قد نكون نحنُ منهم ، نخطأ و لا نتعلّم و نعيد الخطأ ..

و هكذا !

و لكن تذكّر يا من تقرأ هذا الكتاب ، أنَّ كلُّ بني آدمٍ خطّاء ، و خيرُ الخطّائين ، التوابون .

و هذا ما نُقِل عن نبيّنا الكريم صلوات ربّي عليه .

رواهُ الترمذيُّ

تكلمنا عن وفاء ، و كيف أن تغيّر حالُها ، و إلى آخره ..

و لكنّنا نسينا المسكين حُسام !

أهو مرتاح البالِ أم دخل في حالةِ اكتئاب ؟

أكمَّل في طريقه أم تعلَّم من غلطه !؟

أتلقَّى بهدلة مرتَّبة من غدير أم لا !؟

و الكثير من الاسئلة ..

بدايةً تعجَّب الأخ ، و لم يعد يعلم كيف يتصرّف ، و لما حدث كُلَّ هذا ، أي أصابه نوع من الصدمة !

و لكنّه تلقّى رسالة (أقصد جريدة) من الآنسة غدير ،

و كانت :

حُسام !

لم أكن مُتخيّلة أنَّ أكثر شخص أؤتمن له ، يخونني !

لم أكن مُتخيّلة أنَّ أكثر شخص أحببته ، و تعلّقت به ، يردُّ لي من مقدار محبتي له ، صفعة قويّة لم أكن أُفكّر مجرّد تفكير بها !

لماذا يا حُسام !؟

لماذا كذبت عليَّ ، لماذا أوهمتني بأنَّ لا شريكة لك ، و جعلتني مُغرمة بحبِّك ، و بعدها .!

لماذا يا !!

يا من كنتُ أحسبهُ من أكثر المُقربين إليّ ، يا من كنت و كنت !

و لكنك ستبقى شيء من الذي كان !

هُنالك من يتمنّى أن أنظر إليهِ نظرة ، و أنت !؟

بسيطة !

بسيطة يا حُسام ..

ما تعلمته منك هو أنَّ المرء يجب أن يذهب إلى من يُريدهُ ، و ليس لمن يَريدهُ هو .

و لكن رغم كل هذا ، سأعطيك فرصة أن تتكلّم و لم أحظرك !

لأنَّ و بكل صراحة لم تعد تهمني من الأساس ، لا أنت ، و لا كلامُك .

الله يسامحك .

_ لا أدري ، ماذا سأردُّ بعد كُل هذا !

لكِ الحق في كل ما قلتيه ، و أنا أعترف بغلطي ، و إن أردتِ لقلتُ لكِ لماذا فعلت كُل هذا ..

و إن لم تكن لديكِ لهفة في النّقاش ، فليكن كما تُريدين .

_ تفضل أستاذ ، قل ما بدا لك !

_ كل ما في الأمر هو ، أوَّل ما بدأت في الحديث معكِ ..

كانت علاقتي مع وفاء ليست على ما يُرام ، أي أنَّني كنتُ مُعتقداً أنني سأتركها ، لأنَّ المشاكل التي كانت تحصل بيننا ، كانت تُبيّن لي كم أنا لا شيء أمام وفاء ، و بالفعل ، أتى يوم و انتهى الحديث بيني و بينها بالحظر !

و لكن لا أدري ما الذي حصل بعدها و تصالحنا من بعدها .

و مع هذا كلَّه ، كنتُ على يقين أنَّه سيأتي اليوم الذي سنترك بعضنا فيه ، و عندما طلبتي منّي أن تضعي تاريخ تعارُفنا على بعض ، فأنا وافقت ، لكي يأتي ذلك اليوم الذي تدخل فيه وفاء إلى الحساب و تعلم ، أو يصيبها الشكّ ، و من هذا المنبر نختلف فيما بيننا ، و نترك بعض ..

كل ما في الأمر هو أنّني عندما بدأتُ بالحديثِ معكِ ، لم أكن ذلك الذي يُحبُّ وفاء ، لقد انتهى أمرها من زمان ، و لكن كنتُ أُفكّر طيلة هذه الأيّام كيف أتركها ..

و هذا ما حصل ، و أنا سعيدٌ من جهة ، و حزينٌ من جهة أُخرى ، و لكن لا بأس ..

أتمنى أن تكون الفتاة الَّتي أحبَّها قلبي تفهم ما قلتهُ الآن .

_ أحبَّها قلبُك ؟

ألك الجرأة أن تتكلم هكذا بعد كل هذه الأحداث التي صارت !؟

ما الذي حدث بينك و بين الآنسة وفاء ، أقصد لماذا كرهتها ، ما السبب ؟

_ فرضُ رأيها في كلِّ شيء ، مزاجُها المُتقلّب ، لم أعد أعلم ، هل هي تحبُّني أم تكرهني ، أم أنّها أخذت هذه العلاقة على درب التسلية ..

تغيَّرت كثيراً ، و لولا كل هذه الأفعال ، لما كان منّي الذي كان .

_ و هل تُرى أنَّه من المنطقيّ أن أُصدّق كلامك هذا ؟

و ما المانع أن يكون كل هذا السيناريو التافه من تأليفك ؟

ألديك دليل على ما تقوله !؟

_ ما لكِ ؟

و ما هذا الأسلوب الغريب الذي تأتي به !؟

طلبتُ منكِ أن أقول لكِ و أنتِ وافقتي ، و هذا كل ما حدث باختصار .

_ و ما أدراني أن تكون قد طلبت لكي تُألّف و تتكلم من عندك ؟

ما الذي يجعلني أن أثق بكَ بعد أفعالك هذه ؟

_ أها !

هذا الأمرُ يرجعُ إليكِ ، و لكن تذكّري جيّداً أنّكِ الوحيدة التي ملَكت هذا القلب الذي ينبض الآن لأجلكِ ..

افعلِ ما شئتِ..

فستبقي تلك الفتاة الّتي يعرفها قلبي ، لا عيني ، و لا كلام النّاسِ عنكِ ..

كل هذا لا يعنيني ، الأهم هو أنَّ قلبي يعرفُكِ .

_ أأخرجت نزار قبّاني الذي في داخلك الآن !؟

حُسام ، كُن واقعي ، و لا تتخبَّط في خيالك الواسع ،

_ و هل كلامي لا يعنِ لكِ شيئاً ؟

أتمنى ألّا تكون تتغابى في هذا الوقت صراحة ، لأن كلامُك يعنِ لي الكثير.

أرجوك يا حُسام ، إن عدتُ إليك ..

لا تخيب ظنّي للمرّةِ الثانية ، لأنّ المرّة الثانية ستكسر القلب الذي أحبَّك .

_ لا تترجّي المُحب ، و لا يُوصَّى مُحبٌّ على من يحب .

فقد نال منّي الذي نال ، و تلاشى ما كان موجوداً من قبل ..

كوني على ثقة ، أو لا تكوني ..

فالأيّام بيننا ، و هي الّتي ستُبيّنُ لكِ ، كم أنّني مُحبٌّ تائهٌ في مجرى بحرِ حبُّكِ .

_ سكرين .

_ عفواً !

_ أينعم ، أيُعقل أن أتلقّى كلاماً مِن مَن أُحب ، و لا أعمل سكرين ؟

آسفة ، قد لا أعلم كيفَ أردُّ على الكلام الجميل بالكلام الأجمل ، و لكنَّك أعلم بردّي ، و أعلم أيضاً بمشاعري التي لا تُعبَّر بمجرَّد كلمات فقط !

أيا ليتك تعلمُ كم أنّني ..

انسى ، قد يأتي يوم و أبعث لكَ ما أريدُ أن أبعث ، أرجوك لا تضعني في موقف محرج الآن هـ .

_ أمراً و طاعة ، يا أميرتي .

....

(شهيق ، زفير)

و أتى ذلك اليوم الَّذي جهَّزت فيه رسالة حب و عشق من العيار الثقيل ، نسخ لصق من منشورات الفيس بوك (كما تعلمون) .

فنرى جولييت عصرُنا تُغرِّد قائلاً :

يا حُسام ، آملُ أن تكون بحالة جيّدة الآن ، فحالتُك الجيدة تسرُّني ، و حالتك السيّئة تُسيء بي ..

كما أكون بكامل سعادتي عندما يُقال لي كلمةُ (عمري) منك ، أشعر و كأنّني حمامةٌ برّيَّةٌ أُحلّق في السّماء ، طائرةٌ من فرحةٍ ليست سواها فرحة !

(لا أدري لماذا الجميع يطيرُ من الفرحة ، ترى الجميع يرفرف كالحمام و العصافير و الجراد ، الجميع طائر ، لا ترى منهم زاحفاً !)

يا عمرقلبي ، أُحبُّ كلَّ ما فيك ، و لو تشقّقَ قلبي مائة شقفة ، لنادت كلُّ شقفةٍ باسمك يا روحقلبي .

لوفيوووووو .♡

أنا ككاتب ، و مؤلّف هذه العبارات ، أشمئزُّ من هذه الأحاديث التي لا طعمةَ لها ..

و لكن ..

ما عليكم ، لنرى ماذا كان رد حُسام .

أقصد مستر روميو حُسام :

ما هذه الصباحية الجميلة ، لم أرَ أجمل من هذه الصباحيّة بكل ما مرَّ في حياتي من صبَّاحيّات !

(مم).. لا تعليق (')

أتعلمي ؟

فداكِ قلبي الذي ينبضَ الآن لأجلك ..

لقد حلّيتِ كُلَّ ما مرَّ عليَّ من مرّ . .

لقد أزهر ربيعُ قلبي بكلامكِ هذا ، و لا أدري كيفَ أرد !

و لكنّني على ثقة كبيرة أنّكِ تعلمينَ كلامي حتّى من صمتي ..

فكلامي هذا لا يُعبّر ما بداخلي ، و ما بداخلي أكبر بكثير من أن يُعبّر بأسطُرٍ من الكلمات ..

أُحبُّكِ كثيراً غدير ، كثيراً !

عزيزي القارئ ..

لم تكن هذه العلاقة ، عابرة كما يُخيَّل لك !

هي عابرة ، و لكنّها طوّلت !

استمرَّت هذه العلاقة أربع سنوات ، و كانت قويّة ، و مبنيّة على آمال فاضيّة ، لدرجة أنَّ الاستاذ حُسام كان يُناديها باسم أُم آدم ، و هي أيضاً تُناديه بهذا الاسم ..

أي أنَّهم قرّروا بتسمية أوَّل بني آدم ، بل و باشروا بالتأمّل فيه ، لدرجة أنَّ الأستاذ حُسام كان يمنعها من أغلب الطلعات ، وهي كذلك لا ترضى أن يتأخّر المستر خارج المنزل في الليل ..

و إلى آخره ...

أي أنَّهم عاشوا حياة زوجيّة ، و لكن من دون زواج .

و لكن قد يسألُ سائل !

ما الذي حصل بينهم حتّى افترقوا ، لقد كانوا شخصين مثاليّن مع بعضهما ..؟

سؤال جميل جداً صديقي !

كل ما في الأمر هو أنَّ الأستاذ حُسام ، و هي أيضاً ، عندما تعوّدوا على نفس الروتين التافه ؛ (حبيبي يا أب آدم ، عمري يا أم آدم) ... و إلخ .

لقد استحوذ عليهم الملل ، **و لكن !**

و ما أدراكم ما كلمة لكن .

رغم الملل الذي صار بينهم ، إلّا أنّهم كانوا في علاقة جدّية و قويّة ، و نوع من أنواع التعلّق ، أي تحوّلت العلاقة من العادة إلى الإدمان .

و كانت تربطهم علاقة قويّة فيما بينهم ، و هنالك رابط قوي يربط بينهم يا أخوان !

_ ما هو ؟

آدم ☺

لو آدم عايش و يرى هذه المهزلة ، لانتحر و هو في سنِّ الثالثة من عمره ..

ما علينا ..

المهم ، بدأ حُسام بالتظاهر أنَّه ملَّ و لم يعد يتحمّل هذه العلاقة ، كالمدخن الذي يريد أن يترك التدخين و يفشل في كل محاولة يحاول فيها أن يترك الدخان ..

كما نعلم أن الفتاة بطبعها عاطفيّة كثيراً ، حاولت في البداية أن تمنعه ..

و لكنّه كان مُصرّ على فعله ..

و الأسباب كثيرة ، ملل + بلغ سن معيّن ، تعرّف فيه على قدر أكبر من الفتيات + أصبحَ شكلُها مألوفاً بالنسبةِ له .

و كلّما كثُرت الأسباب ، كُلّما كثُرت الرغبة في الفراق .

كانت كثيراُ ما تُحاول ، و تقول له :

لقد ضيعت من عمري أربع سنوات معك ، كنتُ مُطيعة لكل ما كنت تقوله ، لا أعصي لك أمر ، بل و حدث الكثير فيما بيننا !

كُل هذا سينتهي بلمح البصر !

فكّر يا حُسام و لا تتهوّر أرجوك !

بفعلك هذا سوف تنهي العلاقة التي بُنيت على الثقة الكبيرة التي بيننا ، هُنالك أيّام و ليالي جميلة فيما بيننا لا أكاد أن أنساها ، عشرةُ عمرٍ في ما بيننا !

أرجوك أن تُفكّر يا حُسام !

أرجوك .

_ غدير ، لقد كُنتِ ذكرى جميلة مرّت في حياتي ، أتحسبين أنّه هيّنٌ عليّ فراقكِ ، هيّنٌ عليّ أن استيقظ الصباح و لم أرَ صبّاحيَّة مِن مَن أُحب !؟

لقد انتهى الوقت غدير ، و أتمنّى لكِ حياة سعيدة ، و أتمنى أن تكوني مع من يُقدّرُكِ .

أمّا أنا !

و إن حافظتُ عليكِ فلم أحصل عليكِ ، و أنتِ على علم بذلك !

_ !؟

لست على علم ، بل و لا أدري لماذا اتّخذت هذا القرار !

_ عائلتي لا تقبل أن أتزوَّج إلا بالفتاة الَّتي تتم اختيارُها من قِبل أُمّي .

و أنا لولا هذا ، لكنتُ معكِ لآخر نفس أتنفّسه !

و أنتِ أدرى بحُبّي لكِ .

_ حُسام و لكنَّك أيضاً أدرى بحالتي ، إذا تركتني !

لا تكسر جناحي بعد إذ جعلتني كالحمامة البريّة !

لا تفعل هذا حُسام ، أرجوك !

_ أتمنى لكِ حياة أجمل ، سَلَام .

و حظرها .

.....

لقد مرّت أسابيع ، و حالتهم أشبه بحالة الكلب الذي في حيّينا ، لا تراهُ إلّا مضّجِع على بطنه ، لا ينبح و لا يأكل و لا يشرب .

غدير لم تصبر ، و لحُسنِ حظّها أنّها تعرّفت على شاب جميل في الجامعة ..

أنا لا أدري لحُسنِ حظّها أم لسوء حظّها أم لجحشنةِ عقلها .

ليست مُشكلة ، المهم ..

الأخ حُسام ، كما معروفٌ عنه ..

من فتاة إلى فتاة ، و لم يهمُّه الأمر ، و بقي على هذا السيناريو حتى أن بلغ الخامسة و العشرون من عمره !

لقد فعل كلَّ ما يخطر على بال من يُفكّر بشكل سيّء ، و على ما لم يخطر في بال أحد أيضاً ..

لا ندري ما الذي حصل في هذه السنوات ، لا ندري كيف حالُهُ ، لا ندري إن كان قادراً على الاستمرار أم لم يستمرّ ، أم نبذَ كل ما كان يفعله .

و لكن القصة لم تنتهِ هُنا !

_ ألم يتوب على ما فعله !!!؟

_ عليك بالصبر !

كل ما في الأمر ، أنّهُ أخذ استراحة و لم نعد نعلم عنه شيئاً !

تاب أم زاد على أفعاله ، لا نعلم .

لم يعد موجوداً على هذه السّاحة من الأساس .

عامر و ما أدراكم ما عامر .

لقد تكلّمنا عن حُسام و مشاكله ، و ارتباطه بالبنات بشكل غير مشروع ، و تخبيصاته ، و تخبيصات غدير ، و حتّى آدم !

الّذي لم يكُن موجوداً من الأساس ، و لكن أتينا بسيرته ، و لم نأتِ بسيرة الباشا عامر !

المسكين عامر ، لا نعلم ما الذي حدث معه ، ما الذي فعله !؟

مسكين ؟

طيّب ، ليس مُهمّاً .

.....

بعد إن عَلِمَ أنَّ الباشا حُسام تركَتْهُ وفاء من جهة ، و أخذ بيد غدير من جهة أُخرى ، أُصيب بالدهشة من هذا الفعل !

كيف لحُسام أن يأخذ غدير ، التي ستكون لي !؟

يعني بدأت هذه الاسئلة تدور في دماغه ، فقرّر أن يبتعد عن حُسام من وقتِها ، و لم يتكلّم معه قط .

عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره ، تعرّف على صديق جديد ، و هو يوسُف .

كان يوسُف على علاقةٍ بفتاة ، كان يحبُّها كثيراً ، و هي كذلك .

يوسف لم يخرج مع هذه الفتاة قط ، و هذا ما جعل عامر يُدهش منه .

كيف له أن يحب فتاة ، و يتكلّم فقط من وراء الشاشة ، ألم يحنُّ إلى رؤيتها ، ألم يُحب أن يمسك بيدها و يخرجوا سويّاً و يستمتعوا ، ألم تُحدثه نفسهُ في الخُزعبلات التي نفعلُها نحن !

كما أنَّهُ أخذ العلاقة بسرّية ، و لم يقل لي عنها أيَّ شيء سوى اسمُها .

و بدأت هذه الأفكار و التساؤلات تزعجُ دماغهُ ، فذهب إليه و سأله :

_ باشا ، أنت مبتحسش باللي نحسو ياخي ، ده انت أيه أنا مش فاهم حاجة ، في شوية حاجات في دماغي عايزك توضحلي كل الحاجات دي أرجوك !

_ عفواً ، لم أفهم !

_ أقصد ، أنّهُ هنالك تساؤلات في دماغي عنك ، يكادُ رأسي أن ينفجر من التفكير بها !

_ و ما هذه التساؤلات ، سل ما بدا لك .

_ يعني ، أودُّ أن أفهم علاقتك بنور ، أقصد أنّك لم تُقابلها قط ، بل و لم تتكلّم عنها قط !

و ما بالُك ألا تحنُّ إلى أن تمسك بيدها ، و هذه القصص ..

_ لديك الحق في قولك هذا ، و لكن ..

القصة طويلة جدّاً يا صاحبي ، أجّلها إلى غير وقت ، لا أُريد أن أضغط على دماغك أكثر مما عليه .

_ ليست مُشكلة ، قل ، فأنا لكُلِّ حرفٍ تنطقهُ ناصت له .

_ حسناً ، كما تُريد ..

القصَّةُ بدأت عندما وعيتُ على هذه الدُنيا و تعرفت على أُناس أكثر من الذين في حارتي ، و بدأتُ بذلك أتعرف على الفتيات ، و كنت مثلما قُلت ، أخرج معهُن و أمسك بيدهِن ، بل و هنالك أمور لا أُريدُ أن أتكلّم فيها ..

_ لا ، تكلّم ، لا تُشوّق و تقطع في نفس الوقت ، يا أما قل ، يا أما لا تأتي بالسّيرة من الأساس !

_ حاضر يا سيدي ..

في وقتها تعرّفتُ على فتاة ، و حصل بيننا ، ما يحصل بين أيَّ حبيبين في هذا الوقت !

أتُريد أن أوضّح أكثر من ذلك ؟

_ لا ، لقد وصلتني الفكرة ، أكمل .

_ المهم ، كنتُ مدخّناً ، مثلك الآن ، بل و أخرب !

و يا ليتها وقفت على التدخين فقط ، بل و كنتُ سيّء الخلُق مع الكل ، خائن ، عصبي ، بارد ، الشتائم على رأس لساني طوال الوقت ، لا أُريد أن أتكلم في الباقي ، أعتقد أنّك فهمت ..

_ لا يا سيدي مفهمتش ، كمّل في الباقي و لا تقطع !

_ طيّب ..

لقد كنتُ أشرب في كل مشكلة تحدُث بيني و بين الفتاة التي أحبّها ، أقصد التي كنتُ أحبُّها .

_ ماذا تشرب !!!؟

_ لبن عصفور .

المهم ، و بدأت بالعادات السيّئة الأكثر من ذلك ، و إن أُحدّثُك من هنا لساعات ، فلم أكتفِ .

إلى أن وصلتُ لمرحلة و أقلعت عن المشروب والعادات السّيئة ، التي أخجل من نفسي إذا تذكّرتها ، و لكن الحمد لله تمكنتُ من التخلُّص منها .

لقد بقيت على التدخين و الصحبة السيئة نوعاً ما ، و بقيتُ على الشتائم ..

و لكن باشرت في الصلاة في نفس الوقت ، و هنا بدأت القصّة ..

_ كل هذا ، و هنا بدأت القصّة !؟

أنت عايز تضيعني و لا أيه ؟

_ اصبر يا رجل ، ما لك .

المهم ، كان لي صاحب ..

لا نقعد مع بعض إلّا و نحن نتكلّم عن فُلان و علّان ، نميمة و تنمّر و سخرية ، حتّى ولو كان ضيفُنا في القعدة كامل مكمّل لا ينقصه شيء ، كنّا نبحث عن أتفه شيء لكي نأخذه على محمل السُخرية و .. الخ .

مع العلم ، عندما تراه لوحده و تراني لوحدي ، قد لا نؤذي نملة ، و لكن عندما نقترب من بعض يحدث تجاذب في طاقاتنا الخُزعبليّة .

أتصدّق ؟

لا أعلم عنهُ الآن أيَّ شيء ، مع أنّه كان أقربُ النّاس إليّ .

و لكن قد تسأل ، ما الذي حصل حتّى حصل هذا الخلاف ، أو ما الذي حدث حتّى حدث كل ما حدث !؟

_ بالضبط ، ما الذي حصل ؟

_ صديقي ،

يوم من الأيّام كنتُ قاعداً أشرب القهوة و أُدخّن ، كالعادة يعني .

_ اييييه ، لقد أثرتَ شهوتي إلى القهوة و الدُخّان يا رجل ، أيمكنني أن أُدخّن ؟

_ لا .

المهم ، أتتني فكرة !

و هي أن كيف لي أن أُدخّن بطريقة لا أضرُّ بها نفسي ..

أدري أنّها فكرة خاطئة ، و لكن قد سمعتُ ذات يومٍ أنَّ الثُفّاح يُنظّف الرئتين من التدخين ، كذلك العسل أيضاً ..

المهم ، بحثتُ في اليوتيوب و أنا أُدخّن و أشرب القهوة ، و قد لفت انتباهي فيديو بعنوان : كيف تترك التدخين خلال ١٠ أيام من دون روت .

_ من دون روت ؟

_ دعك ، هذه من كيسي .

المهم ، تابعتُ الفيديو و كان مُقدّم الفيديو رجل مصري ، و كما تعلم أنا أُحبُّ اللهجة المصريّة كثيراً ..

فتابعتُ الفيديو كلُّه دون تسريع و لا تقطيع .

فكان يقول : لو تركت التدخين لأنّهُ مُضرّ فسترجع إليه بعد أن تتحسّن ، و إن تتركه بسبب غلاء سعره ، فحتماً سترجع إليه عندما يرخص سعره ..

و لكن !

عندما تتركه فقط لأنّهُ **حرام** فهذا سيجعلُك أن تتركه و لا تفكّر مجرد تفكير بالرجوع إليه !

_ حرااام !!!

لاااا ، إنّه مكروه و لكنّه ليس بحرااام !

لا تكن متشدّداً يا يوسُف !!

_ ليس أنا من أقول ، و ليس هو من يقول أيضاً !

و أنا مثلُك فوجئت بهذا الخبر ، حتّى أن قال : إذا قلتُ لك أن تضع التدخين في خانةِ الطيّبات أو خانة الخبائث ، فبأي خانة ستضعُها ؟

أكيد في خانة الخبائث !

و الله سبحانهُ و تعالى حرّم علينا الخبائث !

_ و لكن يا يوسُف أنتم لستم من أهل الفتوى لكي تفتوا من عند أنفسكم !

_ و أنا أتمنّى لك ألّا تبحث في الموضوع ، لأنّهُ حتماً حرام ، و سأزيدُك من الشعر بيتاً .

_ زد يباشا زد !

_ ألم يُحرّم الله عزّ و جل التبذير ؟

ألم يُحرّم كُل ما يضرُّنا ؟

ألم يُحرّم كل ما يضرُّ بعقولنا ، كالكحول و أمثالها ؟

_ حرّم ، و لكن التدخي..

_ حتّى ولو !

ستقول إنَّ الله سبحانهُ و تعالى لم يُحرّم التدخين ، و لكن أكان التدخين موجوداً في ذلك الوقت !؟

_ لا .

_ إنَّ الله سبحانهُ و تعالى أحلَّ لنا الطيبات و حرّم علينا الخبائث ، بل و النبيُّ صلّى الله عليه و سلّم قال : لا ضرر و لا ضرار .

و لا أريد أن أخوض معك في هذا الموضوع ، لأنّه واضح جدّاً يا صديقي ، لذا دعني أُكمّل لك ما الذي حصل .

_ حسناً .

_ قال أيضاً : أنَّ الحل الوحيد هو أن تقطع بشكل مباشر ، و ليس بالتدريج ..

و هذا ما لفت انتباهي أكثر ، لأن أكثر من نصحوني في ترك التدخين ، قالو لي : دخّن في اليوم عشرون سيجارة و غداً تسعة عشر و ما بعده ثمانية عشر .. وهكذا .

و كنتُ دائماً عندما أعمل على هذه الطريقة ، أُحرّم عن نفسي كُل يوم سيجارة ، إلى أن أصل إلى نصف علبة في اليوم ، ثم أعود كما كنت ، بل و أخرب ..

مرّت عليّ أيّام كنتُ أُدخّن فيها علبتين في اليوم !

المهم ، قال بعدها :

السيناريو سيكون كالتالي ، ستُحدّد يوم ، بحيث أنّهُ في هذا اليوم تقطع التدخين ، و هنا ستشعر كأنَّ هذا اليوم هو أطول يوم في حياتك ، بل و تشعر و كأنَّ مرَّ عليك سنة بعينها ، و لكن عليك ألّا تستسلم و تُكافح .

و صدّق !

إن فعلت ذلك فقط لأنّهُ حرام ، فإن الله سبحانهُ و تعالى سيُعينُك و سيكون معك ..

و إن كان معكَ ، فهنيئاً لك .

بل و زاد على هذا ، أن تكتب في اليوم الذي ستترُك فيه التدخين ، أسباب تركك للتدخين ، حاول أن تملي الصفحة ..

و كُلَّما شعرت بالضعف ، اقرأ ما كتبته ، اقرأ الأسباب ، فكر فيما بعد التدخين كيف ستكون حياتك ..

هي مدّة صغيرة لا تتجاوز الأسبوعين ستشعر و كأنَّه هنالك شخصان في دماغك ، كل شخص له رأي خاص به ، بل و هنالك حروب مُستمرة فيما بينهم ، ستشعر و كأنّك مطّلع على الأحاديث التي تحدث فيما بينهم ،، عليك بالقرار الذي اتّخذته في البداية ، إيّاك أن تسلك غير طريق .

و أهم شيء هو في البداية ، أن تُركّز و تثق بقرارك ، و تتوكّل على الله سبحانهُ و تعالى .

طبعاً هو لم يقل ما قلته أنا الآن ، و لكنّني زدتُ لك لعلَّك تسمع منّي و تقطع هذا السّم .

_ شوّقتني صراحةً ، أكمل .

_ قررتُ أن أترك التدخين في اليوم الذي تلاه ، و عندما استيقظتُ من النوم ، رأيت كل من حولي يُدخّن ، بل و أتى في هذا الوقت ضيفٌ ، رائحة السيجارة التي كانت تفوح من عنده ، كانت تجعلني أتقطّع شوقاً للتدخين ..

و لكن أخبرتُ نور إنّني سأترك ، و شجعتني على هذا ، و في هذا اليوم ذهبتُ إلى المعهد ، و تشوّقتُ إلى التدخين أكثر و أكثر ، و دماغي كاد أن ينفجر في هذه الصبّاحيّة !

فلم أكمل ساعتين من هذا اليوم ، و ذهبتُ إلى البقالية و اشتريت علبة و ولّاعة أيضاً .

فدخَّنتُ ، و شعرتُ بالذنب ، و بعد أن عدتُ إلى البيت ، أخبرتُ نور أنّني فشلت ، ولم أكن قادراً أن أترك التدخين .

فانزعجت نوعاً ما ، و أنا أيضاً شعرتُ بالخجل من هذا الموقف التافه !

كيف لي ألّا أصبر !

فتذكرت أنّني قد قلت لنفسي : سأُجرّب أن أترك ، و إن شاء الله سأترك .

و هذا ما جعلني أن أضعف أمام شهوتي للدخان !

لذلك قلت لنفسي بعدها : سأترك التدخين ، إن شاء الله .

و فعلاً ، تركت ، و رميتُ كل شيء يتعلّق بالتدخين !

كنتُ أملكُ ما يقارب العشرون ولّاعة ، و العلبة لا أتذكر أعطيتها لمن ، و هكذا .

كان يوماً طويلاً ، و أخذتُ بنصيحة نور عندما قالت : كُلّما ضعفت أو اشتهيت الدخّان ، اشرب ماء .

و فعلاً ، لقد شربتُ برميل ماء في ذلك اليوم ، بل و أكلت مثلما يأكل الأسد عند جوعه .

و الحمدُ لله ، مرَّ هذا اليوم ..

و نفس الشيء في اليوم الثاني و الثالث ، و كل يوم كان أحسن من قبله ..

و في اليوم الثالث بالضبط ، كلَّمني ذلك الصديق الذي قلت لك عنه ، فقال : هنالك أمور تحدث معي ، لا أدري لماذا ..

فقلت له : ما الذي يحدث معك !؟

قال لي : عليك بسيجارة ، و افتح عقلك .

فقلت له : ليس ضرورياً ، قل ..

المهم ، لقد أتيتُ له بسيرة قطع التدخين في صلب الموضوع ، فقال لي : استحالة أن تجد طريقة تترك فيها التدخين ، و لقد جرّبنا كثيراً من قبل ، و أنت تعلم !

فقلت له : صدقت ، و لكنّني أتيتُ بطريقة جديدة إن شاء الله ستكون أحسن طريقة و آخر طريقة !

فاستغرب ، و قال : و ما هي هذه الطريقة !؟

قلت له : اصبر ، إن انتفعتُ ، سأنفعُكَ ، و أقول لك عليها .

فقال : لا بأس ، مع العلم لست واثقاً بكل الطرق !

..

المهم ، بعدها بيوم ، قال لي : تعال غداً إلى المكان الفُلاني ضروري !

قلتُ له : لماذا ؟

قال لي : تعال ، و لا تسأل !

فأنا بحكم أنّه لدي أشغال في هذا اليوم ، و بنفس الوقت رأسي يكادُ أن يقتلني من الوجع ، فقلت له : قل لي لماذا ، و إن لم يكن هنالك شيء مهم ، فاعذرني !

قال لي : الحقُّ ليس عليك ، الحق على من يقول لك ، و و الخ..

فبعد أسبوع من الانتفاع من الطريقة ، أرسلتُ له : لقد انتفعتُ من هذه الطريقة و الحمدُ لله ، إن كانت لديك رغبة في ترك التدخين ، فكلّمني .

فلم يرد عليّ ، بل و حاولت أن أتكلّم معه ، حظرني !

و هكذا ..

فقلت في نفسي : لعلّه خير ، اسأل الله أن يهديه و يهدينا جميعاً .

و هذا ما حصل يا باشا .

_ شُكراً ، لقد انتفعتُ ممّا حدث معك ، و بنفس الوقت أتمنى أن أكون قادراً على ترك التدخين ، لقد شوّقتني !

و لكن ، أرى أنّك لا تستمع إلى الأغاني ، لماذا !؟

هل الاستماع إلى الأغاني أيضاً حرام !!!؟

_ هذه تكملة للقصّة على فكرة !

بعد أن تركتُ التدخين ، رأيت فيديوهات عن تحريم الاستماع إلى الموسيقى ، و كان هنالك خلاف نوعاً ما بين أهلِ العلم ، فلم أهتم للموضوع ، و لم أبحث عنهُ أكثر ..

حتى أن شرح اللهُ صدري ، لقد كنتُ دائماً ما أدعي في السجود : الله حبّبني فيما تحِب ، وكرّهني فيما تكره .

لقد كنت اسمع لفنان ، و قد حفظت عنه ما يقارب المائتي أُغنية!

كنتُ مدمناً للأغاني بشكل ليس بطبيعي ، أسمع في اليوم ثلاث ساعات متواصلة ، بل و أحياناً أكثر !

عدت إلى البحث في الموضوع ، و رأيتُ فيديو لشابٍّ يتكلّم عن الموسيقى ، و الأغاني المُنتشرة في هذا الوقت ، و قد قال : إذا سألت أحدهم : أيُهما الأقربُ بالنسبة إلى قلبك ، القرآن أم الأغاني ، فسيقول لك القُرآن ، مع العلم أنّه بعيد جدّاً عن القرآن و قريب جدّاً من الأغاني .

و صدقاً عندما قال هكذا ، سألت نفسي نفس السؤال !

فإذ أخرج بنتيجة ، ألا وهي : لم أفقه في القرآن شيء ، بل و قراءتي ليست جيّدة ، و أفقه في الموسيقى و كأن الموسيقى هي التي ملكت قلبي .

و أيضاً قال : ماذا ترى في الموسيقى ، و هذه الأغاني !؟

هل ستكون في ميزان السيئات في الآخرة ، أم في ميزان الحسنات ؟

ماذا تظن ؟

أتظنُّ أنَّ الله سبحانهُ و تعالى يُحبُّ هذه الأشياء ؟

....

لا أريد أن أدخل في الفتاوي و كيف أنَّ هُنالك أكثر أهل العلم أفتوا في تحريمه ، و من حلّل الأغاني فقد اقتصر تحليله على كلمات الأُغنية ، و أيضاً على اللحن ..

_ ما بالُ هؤلاء الذي يُحلّلون و يُحرّمون من عندِ أنفُسهم !

الحرام هو أن تُحرّم ما أحلّهُ الله لك ، و أن تُحلّل ما حرّم الله عليك .

_ بالضّبط .

و أنا لستُ مُفتيّاً لكي أُحلّل و أُحرّم ، و هكذا ..

مع العلم هُنالك حديثٌ صحيحٌ عن النبيُّ صلّى اللهُ عليهِ و سلّم يقول فيه :

لَيَكونَنَّ مِن أُمَّتي أقْوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ ، والخَمْرَ والمَعازِفَ .

البخاريّ

يكفي أنّني قد رأيتُ آثارها السلبيّة ، يكفي أنّها كانت تأخذ من وقتي كثيراً ، لا أفقه في ديني شيئاً ، بل أفقه في الأغاني و أُحدّثُ النّاس بها ، و أُحدّثُ الناس عن حبّي الشديد لذلك الفنان ، يكفي أنَّ الأغاني كانت تُنسّيني ذكر الله ، تجعلني لا أشعر بالخشوع في الصلاة و عند قراءة القرآن .

و ليس هذا فقط ، بل و جذبني تعليق من بعض الإخوة على إحدى الفيديوهات ؛

قال فيه : أنا كنت عازف جيتار ، كنت أعشق الموسيقى ، كنت أقضي كل الوقت في العزف و الاستماع إلى الموسيقى ، عندما شاهدتُ فيديو على اليوتيوب عن حرمة الغناء ، غضبتُ كثيراً ، كنتُ أغضب كثيراً كُلّما حدّثني أحدهم عن حرمة الموسيقى ، بدأ التغيير عندما عدتُ إلى الصلاة ، بدأتُ أُصلّي لكنّني لا زلت أعزف ..

يوماً ما ، صلّيت صلاة المغرب في الجامع ، كان الإمام الخمس في ذلك الجامع له تلاوة في غاية الجمال ، أخذتني تلاوته ، سحرتني ، عدتُ إلى المنزل و لا زالت تلاوته ترنُّ في رأسي ، فقلتُ لنفسي : لماذا لا تكون لي تلاوة مثل تلاوته !؟

راودتني فكرة التجويد ، و فعلاً ذهبتُ إلى مدرسة قُرآنية و حضرت حصتين ، إلا إنّني لم أكمل ، فقد كان قلبي مشغولاً بالموسيقى !

كنت أحاول أن أقنع نفسي ، بأنني قادر على الاثنين معاً ، القرآن و الموسيقى .

و شيئاً فشيئاً أخذت تُراودني فكرة ، كلّما راودتني هذه الفكرة أشعرت بارتياح ..

كنت أفكر في ترك الموسيقى و التركيز على القرآن ، إلّا أن نفسي كانت لا تزال معلقة بالأغاني ، و شيئاً فشيئاً بدأت تلك الفكرة تطغى عليّ ، كنتُ في حيرةٍ من أمري ، كنتُ أدعو في صلاتي : اللهم حبّبني فيما تحب و كرّهني فيما تكره ، اللهم بيّن لي الحق و ارزقني اتّباعه ، و بيّن لي الباطل و ارزقني اجتنابه ، بقيت على هذا الحال إلى أن جاءت ليلة الفصل ، قررت أنني سأقوم ببحث شامل عن حكم الموسيقى ، فإذا اتّضح لي حرمتها ، فسأتركها ..

قضيتُ ليلة كامل بين الكتب و الانترنت حتى اقتنعت بحرمتها .

عندما قررت ترك الموسيقى ، غمرتني فرحة لا توصف !

عارضني أهلي في قراري ، و لكني لم أُبالِ .

الحمد لله عوّضني خيراً من الموسيقى ، و الآن عندي ثلاث سنوات أتعلم التجويد و أحفظ السور .

اللهم ثبتنا و أهد أبناء و بنات الأُمّة .

أقول لكم كعازف سابق : لذة القرآن لا تُقارن بلذة الموسيقى ، الموسيقى لن تنفعكم عندما تعرضون أمام الرحمان في يوم الحساب ، القرآن يُنيرُ قبركم ، و يُقرّبكم إلى الله .

بيعوا الأغاني و اشتروا القرآن ، فواللهِ إنها لتجارة رابحة .

أعجبني كلامُهُ كثيراً ، بل و كان سبباً في تيقني أكثر و أكثر عن الابتعاد عن الموسيقى !

_ و لكن أنت تعلم أن هنالك الكثيييييير من يستمع إلى الموسيقى !!

_ قلتُ لك ، أنا لستُ مُفتيّاً لكي أُحلّل و أُحرّم ، و لكن اتّبعتُ ما قاله النبيُّ صلّى الله عليه و سلّم ، و أيضاً بانت عليّ آثارها السلبيّة .

_ لم أقتنع ، و لكن لماذا هُنالك أشياء ، كغير الأغاني حتّى ، تُحرّك شهوة الإنسان ، و تجعله يشعر بلذّة لا توصف !؟

أهذا ليس دليل على حُسن هذه الأشياء !؟

_ لذة لا توصف ؟

هذا طبيعي جدّاً ، ألم تقرأ القرآن ؟

_ و هل ترى نفسك الوحيد الذي تقرأ القرآن !؟

_ لا أقصد بكلامي هذا ، و لكن أودُّ أن أُذكّرك ببعض الآيات الّتي لا بد أنّك قرأتها ..

_ تفضّل .

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ الأنفال .

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

سورة ص .

وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا

سورة النساء .

و هنالك الكثير من هذه الآيات صديقي ، لذلك لا أحد يعترض على ملذّة المعاصي ، و لكن أيضاً يجب أن يعلم أنَّ هذه اللذة الناتجة عن الشهوات ،ليست إلّا لذّة وهميّة ، بل و مؤقّتة !

و الله سبحانه و تعالى قال : وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) **الرعد .**

بل و إذا ذهبت إلى بعض الدول ، و ترى أنَّ نسبة الذين يشربون الكحول ٩٠ % ، أهذا دليل على حسنه ، و مشروعيته ؟

يجب أن نبحث دائماً و أبداً ، و أن نعلم أنَّ أهم شيء في هذه الدنيا الزائلة و الفانية ، هو عبادة الله عزّ و جل على أكمل وجه ، كما قال الله سبحانهُ و تعالى : و ما خلقتُ الجنّ و الإنس إلا ليعبدونِ .. **الذاريات .**

_ إنّي أراك من المُعقّدين و المتشدّدين صراحةً !

_ و إني أرى نفسي أتّبع كتاب الله و سنّة نبيّه ، كما يجب على جميع المسلمين اتّباعه .

_ يوسُف !!!

فهمني يا أخي ، كيف لك أن تطعن في شيء ، يُسمّى بغذاء الروح !؟

_ بالنسبة لي ، ما من غذاءٍ للروحِ إلّا القُرآن ، و إن كان هُنالك غذاء للروح غيره ، فهو غذاءٌ فاسد .

و الحمدُ لله ، الحمدُ و الشكرُ لمن عوّضني و جعلني أتقرب من كتابه أكثر و أكثر ، بل و جعلني مُحبّاً لقراءة الكتُب ، بل و بدأت الآن في الكتابةِ أيضاً !

صدّق يا عامر ، إن تترك شيء ابتغاء لوجه الله ، فإن الله سيعوّضك بما هو خير لك !

و الحمد لله حتى يبلغ الحمدُ منتهاه .

....

حصل نقاش حادّ بين عامر و يوسُف ، و انتهى النقاش بعدم قبول عامر للحقيقة ، بل و انزعج من يوسُف ، و لم يعد يتكلم معه .

أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ

البقرة .

بينما كان لوحده في البيت ، أتته تساؤلات حول موضوع الحُب والتواصل الذي بينه و بين نور ..

سأل نفسه : تخيّل لو تعلّقتُ بهذه الفتاة أكثر ممّا عليه الآن ، و هي كذلك !

و يأتي يوم و نفترق فيه !

فنحن لا نعلم الغيب ، كيف سيكونُ حالُنا في ذاك الوقت !؟

فأتته فكرة أنّهُ يُكلّم نور بهذا الخصوص ، و ذلك بعد تفكير طويل و بحث بين الكتب و الانترنت و فيديوهات اليوتيوب ..

قرّر أن يقطع علاقته بنور !

فأرسل إليها ، و هو يقول : أرى أنَّ هذه العلاقات هي مُجرّد شهوة لا أقل و لا أكثر ، الحب اكبر بكثير من أن يكون مجرد تواصل ، و هدر هذه الطاقة تحت مُسمّى التواصل !

أنا لا أشك في مشاعرك ، بالعكس ، و لكن أرى أنّه من الأفضل ، و إذا أراد الإنسان أن يُحافظ على مشاعره ، فعليه الابتعاد عن التواصل !

هكذا و إن لم يُقدَّر له أن يأخذ الفتاة التي يحبُّها ، فلم يكن مُتعلّق من الأساس و لم ينصدم من ما قُدّر له .

بنفس الوقت المشاعر ليس بحرام ، و لكن فقط التواصل !

أرى أنَّ التواصل شيء سلبي بهذه الطريقة .

صدقيني يا نور ، أنا أحترم المشاعر التي بداخلكِ اتّجاهي كثيراً ، بل و أحترم المشاعر التي في داخلي اتّجاهك ، و لكي يكون هنالك احترام لهذه المشاعر فعلاً ؛ يجب أن نتجنّب التواصل ..

و لكي تكون مشاعر صادقة و نقيّة ، و طاهرة أيضاً ..

و أنا بحثت في الموضوع ، و تبيّن لي أنَّ التواصل حرام ، و هذا ليس غريب طبعاً !

لأنَّ احتمال كبير جدّاً أن نتلقّى نتائج سلبيّة ، فقط لأننا خضعنا لأنفُسنا ، و لم نسمع للشرع في هذا الأمر .

و أيضاً إذا أردتِ فابحثي عن الموضوع بشكل عام ، لكي تصلي إلى ما توصّلتُ إليه من اليقين !

أطهر أنواع الحب هو أن يمسك المرء نفسه من شهوة الاشتياق التي تحدث معه ..

و أيضاً يؤمن ، و يدعي ، ليأتي ذلك اليوم الذي يذهب فيه و يطلب يد الفتاة التي يحبّها من أبيها ..

و أنا لم أندم إن حصل شيء ، عكس ما توقّعته ..

و العلاقة المشروعة التي تكون في وقتها ، ستُبنى على التفاهم أكثر مما تُبنى على من يحلم أن يأخذ من يحب ، و يكونا تحت سقف واحد . .

و بعدها ؟

ألم تصبنا الشيخوخة ؟

ألم تتغيّر تلك الملامح التي اعتدنا عليها ؟

ألم يتغيّر مزاجُنا !؟

و على سيرة الاشتياق ، إن كان شوقُ المرءِ لمحبوبه قويّ فإنَّ الإشباعُ منه أقوى و أسرع .

و إذا كانت هذه العلاقة مبنيّة على التواصل ، فسيأتي يوم و نملُّ من هذا التواصل ..

أما العلاقة المبنية على الراحة ، و أنَّ هذا الرجل أرتاحُ له ، أُشاركه أفكاري ، يُشاركني أفكاره ، يكونُ لي حرّية التعبير عن الرّأي ، و هنا نثبت أنَّ العلاقة ليست مبنيّة على الحب

أقصد شهوة الحب ، ولأنَّ الحب أكبر من ذلك

، إن تكلّمنا عن الزواج ، فهنالك أمور أكبر من هذه بكثير صدقيني !

على سبيل المثال ، إن كان في نفسي موبايل مُعيّن ، بل و أشعر و كأنه يجب أن أضغط على نفسي لكي أحصل عليه ..

صدّقي ، عند حصولي عليه و بعد سنتين من الاستخدام ، سوف أملُّ منه !

لذلك لا أريد أن أتمنّى ، أو أتخيّل وجهُكِ ، أو قربك منّي ..

و أنا أرى أن نتمسّك في ما داخلنا من مشاعر ، و أن لا نُضيّعها و لا نشوّه هذا الحب النقيّ ، من خلال هذا التواصل !

لا أريد أن أتكلم أكثر من ذلك ، و لكن أعدُكِ أنّني سأسألُ عنكِ حينَ أكونُ جاهزاً ، لكي أتقدّم لكِ و أطلبكِ على سُنّة الله و رسوله ..

نور ، أن نتعوّد على شيء و نندم على فعل هذا الشيء فقط لأنّنا لم نُفكّر منذُ البداية ، فهذا غلط .

_ أحببتُ كلامُك جدّاً ، بل و لك الحق في كل كلمة قُلتها ، و أيضاً أرى أنَّ هذا هو الأفضل لنا ، و لكي لا يشُكَّ أحداً من أهلي في ما بيننا أيضاً ..

و أنا أثقُ بك و في حُبّك لي ، لهذا أنا معك يعني .

و أنا قادرة على أن أُحافظ على هذا الحب حتّى ولو كنتَ بعيداً عنّي .

_ هذا ما نريده ، و الأفضل هو أن نُحافظ على هذا الحب و لا نُشوّهه ، و الدُعاء الذي أدعوهُ في السّجود ، و التفاؤل في ما بعد ، يعنِ لي أكثر من الكلام الذي يحدث فيما بيننا .

و صدقيني ، إن احترمنا الشرع ، سوف نُحافظ على هذه المشاعر التي في داخلنا ، بل و علينا بالقوّة و ألّا نضعف أمام هذه الشّهوة .

في حفظ الله و أمانه نور .

_ و أنا كُل همّي راحتُك ، و أن تكون مبسوطاً .

انتبه على نفسك ، الله معك .

يوم من الأيام ، أتى شاب ، و سأل يوسُف عن الحب ، فردَّ عليهِ قائلاً :

البديلُ من مُصاحبتِها على حجّة الحب ، هو أن تُحافظ على هذا الحب من الشّهوة الّتي في داخلك .

صدّق !

ليس أبشع من أن تحب ، و تُصاحب من تُحب على أمل أنّه سيأتي اليوم الّذي سيتم فيه عقد القران بينك و بين من تُحب ، و يأتي يوم و ينتهي فيه كلَّ شيء بينكما !

إنّها الشّهوة ..

الرغبة في التواصل مع من تُحب ، قد تنتهي يوماً ما ..

الشخص الّذي أحببته ، و شوّهت هذا الحب من خلال شهوتِك ، سيأتي يوماً و يصبح مألوفاً بالنسبةِ لك !

و صدّق !

ليس أروع من أن تُحافظ على هذا الحب !

_ كيف ؟

ألّا تُعبّر ما بداخلك إلّا لربِّ العالمين ، فأنا اسأل الله عزّ و جل في السّجود : اللهُمَّ إنّي أسألُك الفتاة الّتي أُحبُّها ، اللهُمَّ أنت أعلم بها من أهلها ، و أرحم ..

أسألُك أن تحفظها بحفظك ، و أنت خيرُ الحافظين ..

اللهُمَّ اهدني و إياها إلى صراطِك المُستقيم ..

اللهُمَّ و إن كانت هذه الفتاة خيراً لي ، و كنتُ خيراً لها ، أسألُك أن تجمع بيننا ، و تجعلُها من نصيبي يا رب ..

فأنت أعلمُ ما هو خيرٌ لنا ، و نحن لا نعلم .

و احمُد الله كثيراً ، دائماً و أبداً ، و اعتبر كل ما قلتهُ الآن مجرد نصيحة من أخٌ لك .

_ شُكراً جزيلاً أخي .

_ لا شُكرَ على واجب .

عندما بلغ الخامسة و العشرون من عمره ، وما زال يقع في الخطأ و لا يتعلّم ، بل و أصبح يتعاطى الحشيش بدلاً عن التدخين ، و يشرب ذلك السمّ بدلاً عن مشروب الطاقة الذي كان مُعتاداً عليه ، و بدأ يأخذ بالحبوبِ ، و أصبحت حالته سيئة لدرجة ..

عامر كان كالثُّعبان يلدغ عقول من حوله بنصائحه السّيّئة ، و لدغ نفسه بنفسه ، و حالتهُ أصبحت أسوء ما كان عليه من قبل مع الأسف !

و يوم من الأيام ، أتى إليه أحدهم و قال له :

_ اسمع ، هُنالك من سيعطي مُحاضرة في تطوير الذات و الرّوح ، و تغذية النفس و من هذا الكلام الفاضي ..

المهم ، ما رأيك !؟

_ ما رأيي ؟

_ أقصد ، ما رأيك في الذّهاب إلى هذه المحاضرة ، لعلّنا نسخرُ من المُحاضر ، و ننسى مما نحن عليه الآن !؟

_ ها ، نعم ، هو كده .

_ حسناً ، فلنذهب إذاً ..

...

و بالفعل ذهبوا ، و أخذوا يقعدون ، و ينتظرون المُحاضر الذي سيأتي و يلقي كلامهُ أمام النّاس ، و هم في انتظارهم لكي يسخروا منه ومن كلامه ، لأنّهم سمعوا أنَّ هذا المُحاضر جديد ، و الجديد كثيراً ما يتخربط و يقع في الأخطاء ..

أتى المُحاضر ، رجل مُلتحي ، و لكنّه كان يشبه أحداً يعلمهُ عامر ، حتّى أن قال ..

_ هذا الرجل يشبه رجل أعرفهُ جيّداً !

_ من هو ؟

_ ها ؟

_ من هو ؟؟

_ لا أدري ، أقصد لا أتذكّر ، و لكنّه يشبهه كثيراً ..

_ يا عم فكك خلينا نركّز .

المهم ، بدأ المُحاضر في الكلام ، و قال :

السّلام عليكُم و رحمةٌ من الله و بركاتُه ..

فحاول عامر أن يُخفّف من دمّه و قال : و عليكم السلام شيخُنا الكريم هه .

فلم ينظر إليه ، و قال : إنّهُ ليستفزُّني ذلك الذي يسخرُ من كلمة (السلامُ عليكم) ، و يُفضّل كلمة Hi و hello على هذه الكلمة .

والله لو يعلمُ أحدُنا فكرة عن كلمة (السلامُ عليكم) ، لما كان استهزأ ، و واللهِ ليس جاهلاً إلّا من كان يجهل عن ما هو عليه و يعلم عن غيره !

و قد أتى شاب و سأل رجل أمريكي مُسلم : ما هو أول شيء أعجبك في الاسلام ؟

فقال له : كلمة السّلامُ عليكم ، لما فيها من تحيّة من الله عزّ و جل !

المُهم ، لا بأس ..

إنّها أوّل مرّة ، أوّل مرّة ألقي فيها مُحاضرة أمام النّاس ، أوّل مرّة أشعر بلذّة لا توصف ، لذّة لم أكن أتخيّلُها مجرّد تخيّل منذُ سنوات ..

قد يسأل سائل ، و يقول : كلّها مُحاضرة ، و ستذهب ، ما هذا الشّعور الخُزعبلي الذي يكنُّ في داخلك !؟

فردَّ عامر من عنده و قال : هو كده يباشا ، أنا لا أعلم هل هي محاضرة أم إلقاء كلمة بمناسبة الفوز بكأس العالم !؟

_ صدقت ياااا ، لا أعلم ما هو اسمك ، و ليس مُهماً ، و لكن الأهم من هذا كلّه ، هو سؤالك الذي ينبع مع خفّة دمّك ..

المرحلة التي أنا فيها الآن ، الشعور الذي يكنُّ في داخلي الآن ، أكبر بكثير من الفوز بجائزة كما يتهيّأ لك يا أُستاذ ..

صدّق ، و لتكن هذه المُحاضرة موجّهة لك ..

إنّك ستصل إلى مرحلة في حياتك ، إمّا أن تعمل بما يرضي المجتمع و شهواتُك ، أو تعمل بما يرضي الله عزَّ و جل .

و صدّق أيضاً ، أنَّ هُنالك من يصل إلى مرحلة مُعيّنة ، لا أقول سن مُعيّن ، و لكن مرحلة من مراحل حياته ..

يعمل جاهداً لآخرته ، و لا يهتم أبداً بما تشتهِ نفسُه ، يرى الراحة النفسيّة بأُمِّ عينِها ، يصل إلى يقين تام أنَّ هُنالك حياة أبدية ما بعد هذه الحياة الزائلة و الفانيّة ، و بنفس الوقت ينظر إلى كل من يعمل جاهداً و يضغط على نفسه و عقله و جسده فدا شيء تشتهيه نفسُه ، ينظر إليه و يحمد ربّ العالمين على النعمة التي

عليها ، ينظر إلى ذلك الذي يسعى و يهدر وقتاً طويلاً من حياته لكي يحصل على سيارة أحلامه ، ينظر إليه و يقول : أهذا لا يدري إن حصل عليها ، سوف يصل إلى مرحلة يسأمُ منها أيضاً ؟!

لا بد من السعي في الدُّنيا ، و لكن الطّمع هو الذي يأخذ بصاحبه إلى التهلُكة ، كلّ ما حصلت على شيء ، ستتمنى الحصول على ما أكثر منه ، و هكذا ..

مجتمع قائم على الاستهلاك فقط !

سيصل إلى مرحلة ، و يقول لنفسه : لقد كنتُ أسعى وراء شيء ، لا ينفعني أبداً !

بل و لم أكن بحاجة إليه الآن !

خُذ حاجتك من الدُّنيا ، و ما تبقّى تصدّق به ، صدّق إنّك سترى في العطاء سعادة لم تكن تشعر بها في أحلامك !

و إليك هذه القصّة للعبرة :

يوم من الأيام ، مشى شابٌّ مع شيخهِ في إحدى الطرقات ، و رأى هذا الشاب رجلاً مسكيناً وضع حذاءهُ في الطريق و كان يُصلّي ، فقال الشاب لشيخه : ما رأيك أن نأخذ حذاءه و نضعه في مكان آخر وننظر من وراء تلك الصخرة ، و نرى ما ردة فعله

عندما لم يجد حذاءه ، فقال شيخه : ما رأيُك في خطّة ثانية تجعلك تفرح منها !؟

فقال له : و ما هي ؟

قال الشيخ : بما أنّهُ لديك المال الكثير ، لما لا تضع شيءٌ من أموالك داخل حذاءه ، و لنذهب وراء الصخرة و نرى ردة فعله !؟

و بالفعل ، وضع من أمواله داخل حذاء هذا الرجل ، و ذهبوا وراء الصخرة ، و عندما انتهى من صلاته ذلك الرجل ، و رأى الأموال داخل حذاءه ، نزلت الدموع من عيناه من الفرحة ، و قال : شُكراً يا رب ، لقد علمت أنَّهُ لم يكن لديَّ المال الكافي لإطعام أولادي الجائعين .

فعندما رأى الشّاب هذا الموقف ، أشعر بالفرح أكثر من الرجل في حدّ ذاته !

و تيقّن أنَّ هُنالك سعادة في العطاء ، لا يشعر بها الغنيّ البخيل الذي يملك نصف مال الدنيا !

و تيقّن أنَّ الإنسان يجب أن يأخذ حاجته من الرزق الذي أنعم الله عليه ، و يعطي ما تبقّى للفقراء و المساكين .

و الحكمة من هذه القصّة واضحة و لا تحتاج إلى توضيح أكثر من ذلك ، بادروا بالأعمال التي مثل هذه ، و تقرّبوا من الله عزَّ و جل ..

خذ وقتاً من يومك ، و إن كانت نصف ساعة فقط ، اقعد مع نفسك ، و كلّم نفسك ، و اسأل : لما كل هذا البعد من الله عزّ و جل !؟

لماذا أفعل ما لا يرضيه ، لماذا لا أقوم و أتوضّأ و أُصلّي ، و اسألُ الله عزّ و جل الهداية ..

فكر قليلاً سترى أنّ العبادات لا تأخذ من يومك أكثر من ساعة !

سترى نفسك ، تتعلّق أكثر و أكثر ، و تتمنّى في العصر أن يُأذّن المغرب لكي تُصلّي ، ستشعر بالطمأنينة التي لا طالما كنت تبحث عنها منذ زمن !

يؤسفني جدّاً ، أن أرى أُناس لا يهتمّون أبداً ، ملّة نبيّنا الكريم صلوات ربّي عليه ، منهم من لا يهتمُّ في الآخرةِ أبّداً .

واللهِ إني لأرى في القرب من الله عزَّ وجل راحةٌ و طمأنينة ، و سعادة لا مثيل لها !

هنالك من يربح الدنيا و يخسر الآخرة ، و هنالك من يربح الآخرة و يخسر الدُّنيا ، كما نعلم !

و لكن أيدري أحدٌ منكم ، أنَّ هنالك من يربح الدُّنيا و الآخرة معاً ؟!

الذي يتّق الله ، يحصل على جائزة ، ألا وهي : الرضا .

الرضا عن الذات ، عن الحياة ، عن من حوله ، الرضا بما قسم الله له .

هذه الجائزة الحقيقية ، التي من خلالها يستطيع الإنسان تكملة هذه الحياة .

و كما قال الله جلَّ عُلاه :

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) النحل .

و مِن حُبِّ الله عزّ و جل لعباده ، أنّهُ يبتلي عبده .

و ما أعظم أن يبتلي اللهُ عبداً ، و يكونُ البلاءُ سبباً لتقرُّبه إلى الله ، و ما أسفي إلا على الذي لا يأخذ بهذه الأسباب .

هنالك أيضاً أُناس ، قد أنعم اللهُ عليهم ، و رزقهم ..

و لكن ما أصاب المرءُ من بلاءٍ إلّا و قد نسيَ كل النعم التي أنعمها اللهُ عليه ، بل و وجّه كل تركيزه على تلك البلوة التّي لا تكاد أن تكون نقطة في محيط النعم الموجودة عنده ..

فما الذي سنخسره إذا طبّقنا هذا السيناريو على النعم التي موجودة عندنا !؟

احمدوا الله و أكثروا .

و آخر ما أودُّ أن أقوله هو : إن كان أحداً منّا يخطأ و يتوب ، و يخطأ مرّةٍ أُخرى و يتوب ، و هكذا ..

لا تيأس من الرجعة ، و لا تيأس من رحمةِ ربّك ..

إنَّ الله يغفرُ الذنوب جميعا .

و السّلامُ عليكُم .

و بعدما ذهب ، أعجبه عامر ما قاله هذا المُحاضر ، و سأل عنه ، لأنّه من البداية شكّ أنّه يعرفه عزّ المعرفة !

فقيل له أن المُحاضر هو نفسه **حُسام** !

فوجِئ ، انصدم ، لم يعد يعلم ماذا يفعل ، فذهب و بحث عنه ، و عندما رآه لطمه على وجهه !

_ ما لك يا ابن الحلال !؟

لماذا لطمتني !؟

_ من المحبّة !

انظر إلى وجهي بتمعّن ، ألم تتعرّف على هذا الوجه ؟

_ لاا ، من أنت !؟

_ له يا حُسام !

أنا عامر !

_ عامر !؟

لقد تغيّرت كثيراً يا رجل ، أكبُر سنُّك قبلي أم ماذا !؟

_ أيييه ، هموم يا باشا ، هموم ..

_ دعك من هذه السّخافة ، و قل لي ما الذي حدث معك طيلة هذه الفترة يا أخي ؟

فقال له كل ما حصل ، و أتى له بسيرة يوسُف أيضاً ..

فقال له حُسام : إنّي أرى يوسُف شاب جيّد ، لما بعِدت عنه !؟

النّعمة كانت لديك ، و لقد رفستها برجلك !

_ حُسام أرجوك لا تكن مثله مُعقّداً و متشدّداً بالدين ، أرجوك !

_ مُعقّداً !؟

أنت أعلم منّي ، ماذا فعلتُ سابقاً ، و الحمدُ لله الذي يهدي من يشاء إلى صراطه المُستقيم .

_ يا حبيبي !

حُسام ، أرجوك دعك من كل هذا الكلام ، و لا تجعل من نفسك شيخاً عليّ !!

_ دعك من الطريق المُظلم الذي أنت فيه ، و كف عن هذه الرّحلة !

هلُمَّ إلى طريقٍ لا ينقطع فيه النّور !

_ و كيف لي أن أعود ، و أصبحتُ مُدمناً !؟

_ أولم تقرأ القصص ؟

أولم تراني أنا !؟

صدّقني إن أردت الهداية فإنَّ الله سيهديك ، و سيكون معك ، و سيُعينُك !

و لكن كل ما في الأمر ، أن تُجاهد ، و إن فشلت فهذا لا يعني أن الموضوع قد انتهى !

لا

كُلَّما رأيت نفسك تفشل ، عُد ، و حاول مرة أُخرى .

_ لا يا حُسام ، صعبة !

_ إليك بقصّة اللص التائب إذاً .

_ و هل يتوب اللص أيضاً !؟

_ أولم يكون بني آدم ؟

_ طيّب يا حُسام ، هاتِ ما عندك من هذه القصة لنرى .

_ يوماً من الأيام و أنا ذاهب إلى الفرن بعد الفجر ، و كما نعلم أنَّ الكهرباء في بلادنا الجميلة تكون مقطوعة في أغلب الأوقات ، و الجوُّ مُظلم و الوقت يكاد أن يقنع الناس بلذة النوم ..

كان هنالك طريق كُنتُ معتاداً بالذهاب منه ، و لكنني أردت أن أُغيّر الطريق لعلَّ أن أختصر و أصل بسرعة .

و أنا في الطريق ، أتمشى في هذه الشوارع الظلمة ،و إذ أشعر و كأن هنالك أمرٌ غريب سوف يحدث معي ..

لا أدري مجرد إحساس !

و في إحدى الشوارع الذي لا أكاد أن أسمع سوى صوتُ خطواتي في المشي ، فإذ أسمع بصوت طقطقة أحدهم من خلفي ، فقلت لا بأس ، هنالك شخص مثلي وخرج من منزله في مثل هذا الوقت ليس للهو طبعاً ، و إنما لأمر مهم ..

و أنا بطبعي أذكرُ الله كثيراً عند خروجي من المنزل حتّى وصولي إلى الفرن ..

و لكن هنالك ثُمةُ إحساس غريب كُنت أشعر به ، لا أدري سُبحان الله

و كأنني علمت بما سيحصل لي في هذا الوقت ، و لكنني كُنت أحاول أن أقنع نفسي أن ما هذه إلّا أفكار سلبية تدور في رأسي ، فكنت أُبدل هذه الأفكار بأفكار إيجابية ..

لا أُريد أن أشغل تفكيري بما لا يُرضي من نيّةٍ طيّبة ، و كنت أيضاً أُفكر باحتمالات سلبية و بنفس الوقت أُفكر كيف أتعامل إن حصل ما أُفكر به ، فالاحتياط واجب كما نعلم ..

فإذ قرّب ذلك الشخص الذي كان يُلاحقني و أنا أُفكر إن كان سيحدث هنالك أمرٌ سيء فكيف سأتعامل ، ولكنَّ الشخص كان أسرع من ما أُفكر فيه ،

و أنا أُفكر ..

(كيف أنجو ، لأنني شعرت و كأنَّ هذا ما سيحصل معي بالضبط) ، و إذ يأتي ذلك الشخص و يخنقني من الخلف و حيث وضع السكينة على رقبتي لكي لا أصرخ أو لا أهرب أو لا أفعل ما لا يرضيه ..

و لكن كل المال الذي كان معي لا يتعدّى (الألف ليرة سورية) ف قلت بيني و بين نفسي (يا له من لصٌّ حظُّه سيء للغاية) ..

فإذ قال لي : أخرج بكل الأموال الذي معك و لا تتحرك و إن فعلت شيء سوف أقتلك

و أنا أقول بيني وبين نفسي بسخرية (ما هذا ، كل هذا لأنني أملك هذا المبلغ الضخم !)

فقلت له : ما لك يا أخ ، لما العجلة ، أولم تعلم كيف تتكلم بحنيّة قليلاً !؟

فقال : لا تتكلم شيء و أعطني ما تملكه من الأموال الّتي معك و إلّا ..

فقلت : لا تُكمل ، أعلم إنك ستقتلني إن لم أعطيك المبلغ الضخم الذي معي ،و لكن دعني أفهم ،ما هو الدافع الذي جعلك أن تخطفني ، من الذي قال لك بأنني أملك المال الّذي لا يملكه أحداً في هذا البلد !؟

فقال و هو غاضب : لا تُكثر من الكلام !! و إلّا ستخسر نفسك و مالك معاً

فقلت بهدوء : اهدأ يا أخي ، انا لم أقصد بكلامي هذا سوى السُخرية ، لأنك لو تعلم أن كل ما أملُكه من الأموال الضخمة هي ألف ليرة لكُنت تصدّقت عليّ و لم تفعل ما تفعله الآن ، و لكن هُنالك أمور قد تشغل بالي و أفكاري ، يعني لو لم تسرق و تعمل عملاً يُليق بك ، أليس أفضل من أن تعمل هذه المهمة الّتي تكاد أن تُدخلك السجن ، و كل هذا لأجل الألف ليرة المقطوعة الذي لا يقبل بها سوى الفرّان !؟

فقال : و هل يجب عليّ أن أُصدقك على أنه ليس لديك سوى هذه الألف ليرة ؟

فقلت له : تصدق أم لا فهذا الأمر يعود إليك ، و أنا لست بحاجة أن أبرر و إذا أردت أن تفتشني فافعلها ولن ترى سوى هذه الألف ليرة .

فقال : عجيبة !

فقلت : و ما العجيب في هذا الأمر ؟

فقال : كل من أسرقته في هذا الشارع كان يحمل أموالاً لا تُعد ولا تُحصى ، لذا لا يمكنني أن أصدّق فكرة أنه لا تملك مالاً !

فقلت : هذا الاختلاف الذي بيني و بين غيري ، فأنا ذاهب إلى الفرن و لست كغيري ذاهب لأماكن أُخرى !

فقال لي و هو يتلعثم في الكلام : يجب أن أُفتشك لكي يطمئن قلبي !

فقلت له : و هل لديك قلبٌ ليطمئن !؟

فقال و هو غاضب : دعك من الكلام الفارغ ، و دعني أن أُفتّشك

فقلت له : تفضّل ، فتّش ..

و بالفعل لقد فتّشَ و لم يرَ سوى تلك الألف ليرة ..

فقال لي : لما لم تقل لي منذ البداية ، لقد ضاع وقتي معك !

فقلت له : ومن قال لك أنه لم أقل لك من البداية ولكنك كنت تُصرُّ و متأكد أيضاً بأنَّ معي من المال ما ليس مع غيري ، و بالطبع هذا ما حصل ، فمن يضع في جيبه هذه النقود غيري !؟

ولكنك مع الأسف كُنتَ مُتأملاً بتلك النقود الّتي لا تراها معي

إلا في الأحلام !

فقال لي : لا تضيّع وقتي ، و دعني أذهب ، و اسمع جيّداً : لم تراني و لم أراك و إلّا ..

فقلت : و إلا ستقتلني ، لا داعي أن تكمل تلك الجملة الخُزعبليّة لقد اعتدت عليها ، و هذا ما سيذكرني بك صراحةً !

و لكنني أُريد أن أقعد معك و نتكلّم قليلاً .

فقال لي : و لما أتكلم معك فأنا لص و أنت عبدٌ صالح ، استحالة أن نتكلم سويّاً ، و بالأخص في هذا الوقت المليء بالعمل !

فقلت له : و لكنني مُصرٌّ على أن نتكلم سويّاً ، و ليس لدي معك أيةُ مصلحة ، ومع أن الخبز أهم من الحديث معك ، لكنني أُريد أن أتكلم معك كأخ كبير يُكلّم أخاه ، ألا تقبل أن أكون مثل أخّاً لك ؟

فقال بصوت خافت : لقد ذكّرتني بأخي الذي مات منذ سنوات ، لقد كان مثل سندٍ لي ، و لكن يا أخي دعني و شأني ، ليس هنالك ما يربطني بك لا من قريب ولا من بعيد ، و أعتذر على ما فعلته معك ، و أتشرّف كثيراً على أن يكون لي أخٌ مثلك ..

فقلت له بلهجة كالحلم : لذا دعني أن أُكلمك قليلاً ، لعلَّك تكون أفضل من غيرك ، و أنا أرى فيكَ ما لا أراه في المجرمين ، و أرى أنَّ ما وراء هذه الشخصية قلب نظيف !

(لكنّه كان يصرُّ على أن يذهب)

فقال لي بعد جدال طويل : و ما الموضوع الذي تُريد أن تكلمني به ؟

فقلت له : لا بأس ، اقعد على هذا الرصيف ، لكي نتكلّم في ما يخصُّك !

فتفاجأ و قال : و ما الموضوع الذي يخصّني ؟

فقلت له : اصبر ، و صلِ على النبي ، و اقعد هُنا ..

هو : اللهم صلي على سيدنا مُحمَّد ، تفضل ، تكلّم !

فسألته : منذ متى و أنت تعمل هكذا !؟

فقال لي : عفواً ، و ما شأنك ؟

فقلت له : أتستطيع أن تُجاوب على أسئلتي ، لو سمحت !

فُهنالك عدة أمور تُشغل أفكاري ..

فقال : حسناً ، أنا أعمل في هذا المجال منذ ٥ سنوات و ..

(فكان يُريد أن يكمل و لكنه توقّف عن الكلام)

فقلت له : لك أن تأخذ راحتك في الكلام معي ، لا تتكلم بطريقة مختصرة أو تعطي أجوبة مُختصرة ، و أتمنى لو تتكلم بالتفصيل كيف تعرّفت على هذه المهنة و لماذا اخترت هذا الطريق الغلط !؟

فقال لي : و ما الفائدة من هذا السؤال ، أو ماذا تُريد أنت بالضبط !؟

فقلت له : اسمع يا أخ ، لا تُحاول أن تقنعني أنّك مرتاح البال و مبسوط بما تفعله الآن ، أنا هُنا كأخ كبير لك يُريد أن يتكلم معك و يرشدك و يقبل الرشدُ منكَ ، لعلّ هذا الحديث أن يكون سبباً في أن نُراجع بعض الأمور الذي نفعلها ، لعلّ هذا الحديث الذي سيجري بيننا يكون سبباً في أن نُعيد النظر في أمور كُنا نعتبرها أمور جيّدة و لكنها سيئة ، لعلّ هذا الحديث يغيّرنا للأفضل ، و أنا بطبعي أُحب أن أُناقش و بالأخص المناقشة مع من يعتبرني كأخٍ له ، فهذا يُساعدني كثيراً كي أتكلّم معك بطريقة و كأنني أعرُفك ، لذا أرجو أن تتكلم معي بنفس الطريقة الذي أُكلمك بها !

فهزَّ برأسهِ و قال : معك حق ، و لكنني أخشى ما أخشاه أن ..

فقطعت كلامه و قلت له : لا لا داعي للخوف ، كل ما هُنالك أُريد أن أعلم السبب الذي يجبرك على أن تعمل كسارق !؟

فقال : أتُريد أن أُقصُّ لك القصَّة كاملة بحذافيرها أم بطريقة مُختصرة ؟

فقلت له : ليس مُهمَّاً كيف ستقصُّها ، و لكن المهم إنَّك تقول لي السبب الذي أجبرك على أن تعمل مثل هذه المهنة الخُزعبليّة !

فقال : حسناً ، سوف أقولُ لك القصَّة كاملة ، و احكم إذا كان معي الحق أم لا ..

(فقلتُ في نفسي ، مهما كانت القصة سيكون الحق عليه ، لأن بطبيعتي أقول : لا مُبرِّر على فعل الخطيئة)

المهم ، فشفَطَ كل الأكسجين الَّذين كان موجوداً في المنطقة و بدأ بالقول :

منذ عشر سنوات عندما كانت الأوضاع في البلد على ما يُرام و كانت المشاكل قليلة ، المهم أنَّ هذه المشاكل لم تشمل المدينة التي كنتُ مقيماً فيها ، أأ كنتُ أبلغُ من العمرِ خمسة عشر عاماً ، أنا و أخي الكبير و أبي و أُمي ، كُنَّا معروفين في هذه المدينة في كرمِنا و برِّنا و حُسن تعاملنا مع الناس ، و أيضاً في العبادات ، و كما قُلتُ لك أنَّه كان لدي أخٌ أكبرُ منّي و كان يكبرُني بخمس سنوات ، خالد !

كان دائماً يأتي بآيات القرآن الكريم ، و يتلو عليّ الآيات و يُعلّمني ، و كان مُجتهداً وحافظاً لكتاب الله ..

كُنتُ أُحبُّهُ كثيراً ، فقد كان أقربُ النّاس إليّ .

بعد أن مات ، أصبح كل ما حولي مُجرّد ظلام ، لقد فرّقتنا الحرب ، و كلٌ واحدٍ منّا صار في جهة ، و لا أعلم عن البقيّةِ أيّ شيء .

و هأنا ، لقد جار عليّ الزمنُ و لم أرَ سوى هذه المهنة لكي أعيشُ منها .

لا يكفيني الراتب القليل الذي يُعطى للناس في هذا الوقت !

الراتب الّذي لا يسدُّ جوعي إن جعتُ ، و لا يروي عطشي إن عطشت !

أينعم ، كنتُ في البداية أعمل عمل البنّاء ، كنتُ من هؤلاء الذين يُسمّونهم بالكادحين ، و كان الراتب جيّد ، و لكن شعرتُ و كأنني عبدُ مملوك ، لا يمشي خطوة إلّا بإذن من ملكه .

كنتُ مُصاحباً بفتاة ، و كُنّا على علاقة حب .

و لكنّني خسرتها ، بسبب قلّة المال !

لقد خسرتُ أهلي و أصدقائي و حتّى الفتاة التّي كنتُ على علاقة بها .

أوهل هُنالك حلٌّ ثانٍ !؟

أوهل سينفعني ذلك الراتب الذي لا يكفي لغذاء الكلب عند غيري ؟!

أتريدُ منّي أن أكون ذلك الشّاب الذي لا يُبالي و يصبر !؟

لقد صبرتُ ، و تمسّكتُ بالصّبر ، حتّى أن فلت منّي الصبرُ أيضاً .

آمل أن تكون قد راعيت و فهمت ما مرَّ عليّ .

_ إن شاء الله ، لم تذهب من هذا المكان إلّا و أنت كارهاً لهذا العمل ، و مُحبّاً للتقرّب من الله عزَّ و جل .

يا أخي ، لقد قال الله سُبحانهُ و تعالى :

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ **الأعلى** .

خيرٌ ، و أبقى !

تمعّن في هذه الصّفتين يا أخي .

هذه الدُّنيا الزّائلة ، الّتي لم تبقَ فيها أكثر من مائة سنة ، بل و الآن كثيراً ما نسمع شباب بأعمارنا يموتون !

فلم نعلم متى سيأتي الأجل ، و لكن يجب أن نستقبل الموت و نحن لسنا على المعاصي !

يجب ألّا نكون كمثل الذين في قولهِ تعالى :

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ المؤمنون .

صدّق يا أخي ، لو غُلقت كُل أبواب الأعمال في وجهك لا تيأس ، أقصد لا تعمل ما لا يُرضي الله !

أتعلم أنَّ هُنالك رجل أجنبي مُسلم ، أسلم و هو شاب في الثامنة عشر من عمره ، كان أهله من الأغنياء ، رغم ذلك طُرِدَ من البيت بسبب إسلامه ، و لكنّه ذهب إلى الجّامع و لجأ ، فقالوا له : كُن هُنا في الجّامع ، ستتعلّم دينُ الله ، و ستنام و تأكل و تشرب من هُنا ، إلى أن يأتي الفرجُ من ربّ العالمين .

يا أخي ، دينُ الإسلام ، دينٌ يهتمُّ به الغرب الآن أكثر منّا ، لأنّه دين الله الحق ، هُنالك أمور قد نجهل عنها نحن في الدّين ، و لكن صدقاً إن تقرّبنا من الله عزَّ و جل ، سوف تكون هذه الدُّنيا بأيدينا و ليست في قلوبنا !

ارجع يا أخي ، فإنَّ رزقُك مكتوب عند رب العالمين .

_ و كيف لي أن أرجع ، و كثُرت ذنوبي !؟

_ إنَّ الله يُحبُّ التّوابين ، لا تيأس من رحمةِ ربّك ..

تخيّل لو أنّك عرضت حياتك للخطر ، بل و خسرت الآخرة ، و كل هذا لأجل هذه الألف ليرة !

أهذا اليوم ، و هذا الموقف ، لا يجعلك تُفكّر ولو قليلاً في هذا الأمر !؟

_ صدقتَ يا أخي ، و لكن ..

_ و لكن ماذا !؟

إذا كان الله عزَّ و جل قال :

قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ . الزمر .

ما الذي يجعلك تنتظر أكثر !؟

لا تجعل الأفكار السلبيّة تتحكّم بك ، و لا تيأس من رحمة ربّك !

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ الأنعام .

أهُنالك مشاكل أُخرى تمنعك من العودة !؟

_ لا يا أخي ، لقد كفّيت و وفّيت .

_ اسأل الله يهديك و يهدِنا أجمعين .

_ آمين .

و لو كان قلبي فصيحُ اللسانِ لأخبرك عن السّعادة التي تكنُّ فيه.

أعلمُ أنَّ كلمة الشُّكر لا تكفي ، و لكن صدقاً أشكرُك من أعماق قلبي !

_ الشكرُ لله عزَّ و جل ، فهذا من فضله .

_ الحمدُ لله ..

و لكنّك لم تقل لي عن اسمك ؟

_ حُسام ، و أنت ؟

_ إبراهيم .

_ اسمٌ جميل ، تشرّفنا يا أخ إبراهيم .

_ ليّ الشّرف يا حُسام .

...

انتهى الحديثُ فيما بيننا ، و ذهب كل منّا في حلّ سبيله ، و أعجبني كثيراً تقبُّل الشّاب لكلامي ، بل و أخذ بالنّصيحة ..

مع العلم أنَّ القصة صارت منذُ شهر ، و لم أعلم عنه أيّ شيء الآن .

آمل أن تكون أنت أيضاً أن تفهم يا عامر !

_ صعبة يا حُسام ، صعبة !

_ ما هو الصّعب يا أخي !؟

لماذا لا تكف عن كل ما تفعله ؟

أمُعجبٌ بهذه الحالة ؟

أفرحٌ بنفسك ، و بأفعالك !!؟

_ حُسام ، أرجوك

و إن لم أكن على ما يُرام ، فهذا لأنّني لم أُدخّن حتّى الآن ..

أيمكنني التدخين ؟

_ لا .

_ لماذا !؟

أتتزعج من رائحة التدخين !؟

ألست أنت الّذي طرحت فكرة التدخين قبل ١٠ سنوات !؟

_ و بقيتُ أُدخّن طيلة الفترة هذه ، و لكن الآن لم أعد أُطيق رائحتها ..

أتعلم ؟

_ لا ، ماذا ؟

أقدر أن أبتسم في وجه من يشتمني ، و لم أكن قادراً على الابتسامة في وجه المُدخّن ، حتّى ولو كان يمدحني .

_ أنا ذاهب ، لتكن هذه النصائح لغيري .

سلام .

_ اسأل الله أن يهديك ، سلام .

ذهب عامر ، و ظلَّ على حاله ، بقي كالّذي لا يفقه و لا يفلح في شيء .

و في النّهاية ، أودُّ أن أقول كمؤلّف لهذا الكتاب : أنَّ الدُّنيا مؤقّتة ، دارٌ للاختبار ، و الاجتياز من هذا الاختبار ليس بصعب ، كُل ما على المرءُ هو أن يعلم سبب وجوده ، و يعلم كيف ميّزه الله عن الحيوانات ، و يعلم أنَّ العقل وظيفتهُ الأولى : ضبطُ الشّهوة .

إن استخدم العقل بالطّريقة الصّحيحة ، فسيفلح .

و يجب أن يتذكّر قوله تعالى : و ما خلقتُ الجنّ و الإنس إلّا ليعبدونِ .

و أعجبتني مقولة : جاء العقلُ ليُضبط النّفس ، و جاء الوحي ليُضبط العقل ، واختلال هذا النّظام ، اختلال الدّين و الدُّنيا .

خاتمة .

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات .

اسأل الله أن يكون هذا العمل قد أفادكم .

إن أصبتُ فمن الله سبحانهُ و تعالى و توفيقه ..

و إن اخطأتُ فمن نفسي .

Instagram : **hussam_alhatim**